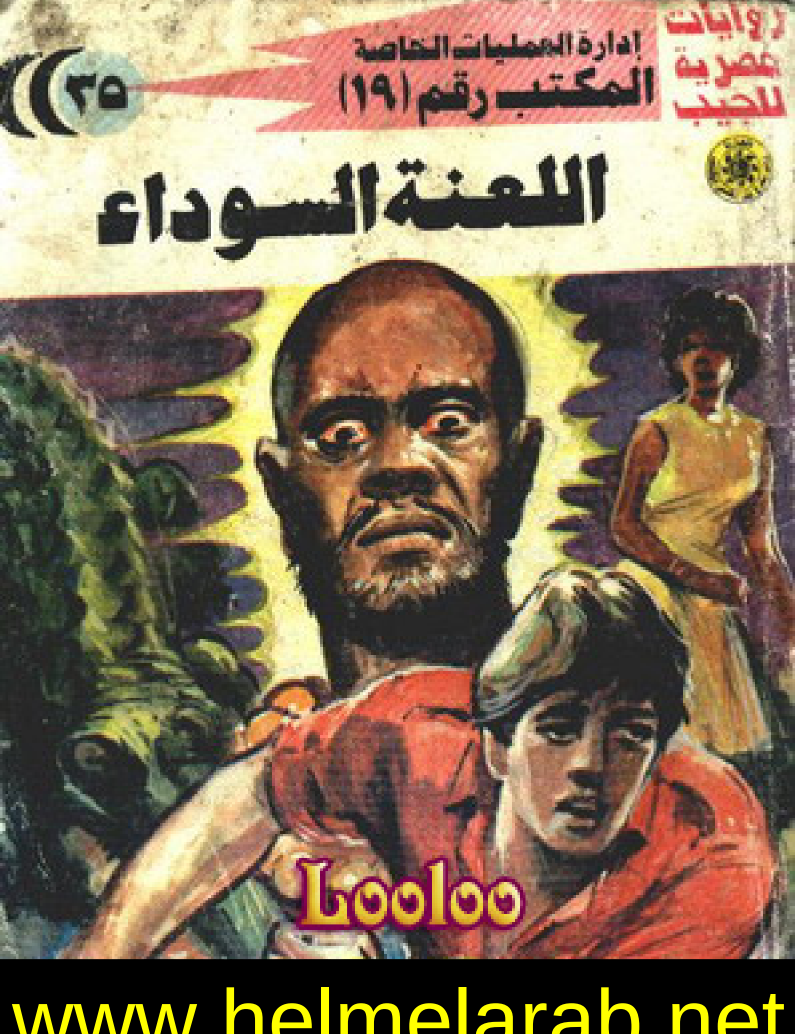

روايات مصرية للجيب
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
٣٥
اللعنة السوداء
Looloo

١ ـــ مهمة غير عادية ..

توافد المهندسون والفنّيّون المصريّون تباعًا ، على منطقة مترامية الأطراف ، بإحدى الدول الإفريقية ، للمشاركة فى بناء سدّ (كاتون) ، وهو المشروع الذى تعاقدت حكومة الدولة الإفريقية ، مع الحكومة المصريّة ، على الإسهام فى بنائه ، نظرًا للخبرة الفنيّة العظيمة ، التى اكتسبها المصريّون ، من بناء أضخم وأعظم السدود فى القارّة الإفريقيّة ، ألا وهو السدّ العالى ..

ولقد بدأ بناء سدّ (كاتون) بالفعل منذ ثلاثة أشهر ، مع وصول ثلثمائة مهندس وفنى مصرى ، وهو يعدّ واحدًا من أضخم المشروعات فى القارّة الإفريقية ، يهدف إلى توفير تلك الكميّات الضخمة من مياه الأمطار الاستوائيّة ، واستغلالها فى توليد الطاقة الكهربيّة ، والنهوض بالزراعة نهضة كبرى ، ولقد كان اعتماد تلك الدولة الإفريقيـة على الخبرات المصريّــة ، دون الأوروبيّة أو الأمريكية ، دليلًا على الثقة والتقدير ، اللذين

لكنهما القارة الإفريقية كلها للخبرات المصريّة ؛ لذا كانت (مصر) حريصة على إثبات قدرات أبنائها وكفاياتهم ، بقبولها ذلك التحدى ، وإقامة ذلك الصرح ، الذى يعد بداية معركة التقدّم ، التى تتأهب لها القارة السوداء ..

وذات ليلة ، وبينما كان أحد الفنّيين المصريّين يجوّل فى منطقة المنازل الخشبيّة ، التى أعِدّت لسُكنَى الخُبراء المصريّين ، بالقُرب من منطقة العمل فى سدّ (كانون) ، لاح له وميض خاطف من بين الأشجار الاستوائيّة الكثيفة ، التى تحيط بالمكان ، ثم لم يلبث أن اختفى ، وعاد يظهر ويختفى عشرات المرات ، فى إيقاع منتظم عجيب ، مما أثار فُضول المصرىّ ، فاقترب من منطقة الوميض فى حَذَر ، واجتاز منطقة الأشجار الكثيفة ، ثم لم يلبث أن تسمّر فى مكانه ، واتسعت عيناه فى ذُهول ، وغمر وجهه ضوءٌ أزرقُ قوىّ ..

وهناك .. على بُعْد متر واحد منه ، رأت عيناه ماسة زرقاء ضخمة ، تدور حول نفسها ، وهى معلّقة فى الهواء ، وتشعّ بذلك الوميض المتلاحق المتتابع ..

جمد الرجل فى مكانه مأخوذًا مشدوهًا ، أمام ذلك المشهد الخارق للمألوف ، ثم لم يلبث أن تراجع فى حركة حادّة إلى

الخلف ، حينما تحوّلت الماسة الزرقاء فجأة إلى كُرة من اللّهب ، اندفعت نحوه ، وحلّقت على قِيد شِبْر واحد من رأسه ، فانطلق يعدو عائدًا إلى منطقة السُّكنى فى رُعْب وفَزَع ، وكرة اللهب تلاحقه فى إصرار مخيف ..

وفجأة .. اندفعت من بين الأشجار حربَة قويّة ، توهّج نصلها احمرارًا ، لتستقرّ فى معدته فى عنف وقسوة .. وجحظت عيناه فى ألم ورُعب ، واحتبست فى حلقه صرخة ، ثم لم يلبث أن خرّ جثة هامدة ، فدارت كرة اللهب حول رأسه دَوْرة أخيرة ، ثم اختفت ، وبرز من بين الأشجار زنجى ، يُخفى وجهه بقناع على هيئة جمجمة ، تبرُزُ أنيابها حادّة مقوّسة ..

وبدأت اللّعنة ..

* * *

تعلّقت عينا المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) بتلك السّلسلة الحديدية القصيرة ، ذات المِقْبَضين الخشبيّين الغليظين القصيرين فى طَرَفَيْها ، والتى يمسك بها مدرّبه الكورىّ ، داخل صالة التدريبات التابعة لإدارة العمليات الخاصة ، واستعدّ لمواجهة مدرّبه فى ذلك التدريب المتقدّم ، من تدريبات لعبة (الكونغ فو) ، والذى يشبه القتال الحقيقى ، والمدرّب

الكورى يحرك السّلسلة بين يديه فى سرعة وبراعة ، محاولًا تشتيت انتباهه ..

وفجأة انقضّ المدرّب ، وأحدثت العصا الخشبية صريرًا مخيفًا فى الهواء ، وهى تهوى نحو رأس (ممدوح) ، الذى كان يعلم أنّ أيّة خطوة خاطئة قد تحطّم رأسه ، إلّا أنه كان يتميز بثباته المعهود ، ويقظته الكاملة ، فتفادى الأطراف الخشبية القصيرة فى مهارة ، وهو يميل يمينًا ويسارًا فى مرونة ، ثم لم يلبث أن طوّح قدمه بضربة جانبيّة ، لتركل يد مدرّبه ، وكانت ركلته من القوة حتى أنها أعادت العصا الخشبية ؛ لترتطم بكتف المدرّب ، الذى عاجله (ممدوح) بركلة أخرى فى صدره ، أخلّت بتوازنه ، وكادت توقعه أرضًا ، ولكن الرجل تمالك نفسه فى سرعة ، على الرغم من عنف الضربة ، وانقضّ مرّة أخرى على (ممدوح) ، وهو يطلق صرخة قتالية قويّة ، مثيرة للفزع ..

وتفادى (ممدوح) اللكمة فى براعة ، ثم هوى بحدّ راحته على عنق مدرّبه ، وقفز فى الهواء ؛ ليلتقط السّلسلة الحديدية بأطراف قدميه ، ودار بجسده دورة رأسيّة غاية فى البراعة ، قبل أن يستقرّ على قدميه ، وقد حاز هو السّلسلة ..

وتطلّع إليه المدرّب مشدوهًا ، حينما رآه يدير السّلسلة

بين يديه فى براعة فائقة ، وهو يدير طرفيها حول وجهه ورأسه فى سرعة ومرونة ، ثم أدارها دورة أخيرة ، والتقط أحد طرفيها تحت إبطه ، وهو يجذب الطرف الآخر فى قوة ، معلنًا نهاية المباراة .

وابتسم المدرّب الكورى ، وهو يصفق إعجابًا ، قائلًا :

— رائع .. بل أكثر من رائع أيها المقدّم .

أعاد إليه (ممدوح) السّلسلة ، قائلًا فى بساطة وتواضع :

— يعود الفضل إلى تدريباتك العظيمة يا مستر (بانج) .

أجابه المدرّب فى جدّيّة :

— كفاك تواضعًا أيها المقدّم .. إننى أعترف أن التلميذ قد تفوّق على أستاذه ، فتلك الحركة البارعة ، التى انتزعت بها السّلسلة من قبضتىّ ، حركة متقدّمة للغاية ، ومن المدهش أنْ تنجح فى استيعابها فى شهور قليلة ، فى حين يحتاج البعض إلى سنوات من المران لتنفيذها !

ابتسم (ممدوح) فى هدوء ، واتجه ليحصل على دُشّ منعش ، خرج بعده من صالة التدريبات ، متجهًا إلى سيارته ، وهو ينوى العودة إلى منزله ، ولكنه لم يكد يهمّ بفتح باب السيارة ، حتى سمع صوتًا يقول فى اهتمام :

— لحظة يا سيادة المقدّم .

التفت (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، فرأى أحد زملائه فى الإدارة يتجه نحوه بخطوات مُسْرِعة ، فسأله فى اهتمام :

ــ ماذا هناك ؟

أجابه زميله ، قائلًا :

ــ سيادة اللواء (مراد) يطلبك فى مكتبه على الفور يا سيادة المقدّم .

ثم أردف فى اهتمام :

ــ يبدو أنها مهمة جديدة .. مهمة غير عادية ..

* * *

دلف (ممدوح) إلى حجرة رئيسه فى هدوء ، ورآه يتحدث إلى شخص ما هاتفيًا ، ويشير إليه بالجلوس ، فتقدّم نحو المقعد المقابل للمكتب ، وجلس فى صمت ، وحاول أن يتطلّع إلى سقف الحجرة متشاغلًا ، حتى ينتهى رئيسه من محادثته ، إلّا أن الفضول لم يلبث أن استبدَّ به ، حينما سمع رئيسه يقول :

ــ نعم يا سيادة رئيس الوزراء .. سنبدأ تحركنا غدًا .. نعم .. الضابط المرشّح للمهمة يجلس أمامى الآن ، وهو من أكفأ رجالنا .. نعم يا سيِّدى .. أنا واثق من أنه سينهى المهمّة على أكمل وجه .

تساءل (ممدوح) عن المهمة ، التى تجعله ــ شخصيًا ــ هدفًا لحديث خاص بين رئيسه ورئيس الوزراء ، وقال لنفسه :

ــ إذن فهى مهمة على درجة عالية من الخطورة والأهمّيّة .. مَرْحَى .. مرحى .. سنترك الأعمال المكتبيّة والرُّوتينيّة ، ونبدأ العمل الجاد .

تحفّز كل جزء من عقله وجسده ، كشأنه كلّما أقدم على عمليّة جديدة ، من تلك العمليات الخاصّة ، ورأى اللواء (مراد) يضع سمّاعة الهاتف ، ثم يلتفت إليه ، قائلًا :

ــ لا رَيْبَ أنك قد استمعت إلى حديثى مع رئيس الوزراء ، بشأن مهمّتك الجديدة .

ممدوح :

ــ لست أُخفِى أنها أثارت فضولى يا سيِّدى ، وجعلتنى أتساءل عن نوعها ، ومدى أهمّيّتها !

أشعل اللواء (مراد) سيجارته ، قائلًا فى جدّيّة :

ــ إنها مهمّة بالغة الأهمّيّة والخطورة بالفعل يا (ممدوح) ، فهى تتعلّق بمشروع سدّ (كاتون) ، الذى تتولّى الحكومة المصرية تنفيذه فى (الجابون) ، جنوب غربىّ القارة الإفريقية ، فالأهمية الحقيقية لتولينا هذا العمل الضخم ، ليست مجرّد

عائد مادىّ للخزانة ، ولكنه توطيد أواصر الثقة والصّداقة ، وإثبات كفاءة وخبرة المصريّين ، ومضارعتهم لأغنى الخُبَراء الأجانب ، وهذا يعنى أنّ ذلك المشروع هو — فى حدّ ذاته — هدف استراتيجىّ بعيد المَدى ، ويُعَدُّ ركيزةَ التعاون بين (مصر) ، والدّول الإفريقية ، وينبغى أن يظلّ هذا واضحًا ، قبل أن أبدأ فى شرح تفاصيل المُهمّة لك .

ثم اعتدل ، وهو يقول فى اهتمام :

— والآن استمِعْ إلىّ .. استمع إلىّ جيّدًا ..

* * *



٢ — نُبوءة الرُّعب ..

لم يشعر (ممدوح) بهبوط طائرته فى مطار (ليبرفيل) ، عاصمة (الجابون) ، فقد كان ذهنه يسترجع — فى إصرار — حديثه الأخير مع اللواء (مراد) ، حينما قال :

— منذ ثلاثة أشهر بدأنا فى إرسال خبرائنا وفنيّينا إلى (الجابون) ؛ للمشاركة فى بناء السدّ ، وكانت بدايات العمل مشجّعة ، تبشّر بالنجاح ، وبدأت أعداد أخرى من المهندسين والفنيين هنا تستعدّ لِلّحاق بزملائهم ، إلّا أنه ، ومنذ عدة أسابيع ، بدأت تقع هناك حوادث غامضة ، فى منطقة (ماكوكو) ، التى تقرّر بناء السدّ فيها .. حوادث راح ضحيتها العشرات من المصريّين ، وأبناء (الجابون) ، دون سبب واضح ، أو تفسير مفهوم ، ولقد أقسم بعض من كُتبت لهم النّجاة ، من تلك الحوادث الغامضة ، أنهم قد رأوا ظواهر غامضة ، يعجز العقل عن تفسيرها ، وأدّى ذلك إلى انتشار شائعات تتعلّق بالخُرافات والمعتقدات الإفريقية القديمة ،

وَجدت طريقها إلى قلوب وعقول الكثيرين ، مما أدى إلى فرارهم
من منطقة العمل ، وتوقُّف معظم العمليات الخاصة ببناء
السَّد .

سأله (ممدوح) فى اهتمام :

ــ وهل نعرف هذه الشائعات يا سيِّدى ؟

اللواء (مراد) :

ــ لقد وصلنى تقرير من سفارتنا فى (الجابون) عن ذلك ،
وهو يحوى ملاحظة غريبة ؛ إذ يقول إن أحد السَّحرة المعروفين فى
(الجابون) ، ويُدْعَى (تشومبى) ، قد تنبَّأ منذ عدة أشهر ،
بأن وصول المصريِّين إلى (ماكوكو) ، سيحمل معه نذير الموت
والرعب والخراب للمنطقة ، وحاول أن يُقنِع المسئولين فى
حكومة (الجابون) بخرافاته ، ولكنهم ، وعلى الرغم من نفوذ
(تشومبى) القوىّ هناك ، رفضوا تحذيراته ، وأصرُّوا على
الاستعانة بالخبرات المصرية ، لبناء سدّ (كاتون) ..

وها هى ذى تلك الحوادث الأخيرة تزعزع الثِّقة ، وتُوحى
بأن نبوءة ذلك الرجل الغامض لم تكن مجرَّد خرافة ، أو خداع
دجَّالين .

قال (ممدوح) مُستنكِرًا :

ــ هل تؤمن سيادتك بأن ما يجرى هو نوع من السِّحر
المنتشر فى (إفريقيا) ؟

اللواء (مراد) :

ــ هناك صلة ما بين نبوءة الرجل ، وتلك الحوادث
الغامضة يا (ممدوح) ، ثم إن مشروع بناء السَّد كله قد بات
مهدَّدًا بالفشل ، بعد استقرار تلك النبوءة فى العقول ،
وما صَحِبها من ظواهرَ مُثيرة ، وحوادثِ قتلٍ غامضة ، والخوف
هو المسيطرُ الآن على قلوب وعقول الجميع .

ممدوح :

ــ المطلوب إذن هو كشف الحقائق ، قبل أن يتوقَّف العمل
تمامًا فى السَّد .

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. فالأمر يخفى فى طيَّاته ما هو أكثر من نبوءة
ساحر ، وضحايا خرافات مُسيطِرة على العقول .. إننا نعتقد
أننا إزاءَ مؤامَرة تُدَبَّر ؛ لمنع المصريِّين من المعاونة فى بناء السَّد ،
ومهمَّتك هى القضاء على هذه المؤامرة بأىِّ ثمن .

ممدوح :

ــ سأعمل جاهدًا على ذلك يا سيادة اللواء ، فأنا
لا أخشى الجنَّ أو العفاريت .

قال اللواء (مراد) فى جديّة :

ــ كُنْ على حَذَرٍ يا (ممدوح) ، ولا تستهن بالأمر ، فأنت مُقْبِلٌ على مواجهة قُوًى خفيّة نجهلها .. قُوًى تجمع ما بين أسلحة الدّمار ، ووسائل السّحر والشّعْوَذَة ؛ لتنشر الموت والرُّعب والخراب فى المكان ، الذى ستذهب إليه .. كن على حَذَر ..

كُنْ على حَذَر .. كُنْ على حَذَر .. كن على حَذَر ...

تردّدت العبارة الأخيرة فى ذِهْن (ممدوح) ، كما لو كانت صدًى يتراجَعُ وَيَخْفُتُ فى بُطْء ، حتى انتزعه منها صوت مضيفة الطائرة ، وهى تقول فى هدوء :

ــ لقد وصلنا يا سيِّدى .

انتبه (ممدوح) من ذكرياته ، وأسرع يحلّ نطاق مقعده ، وغادر الطائرة ، حيث وجد مندوبًا من السّفارة المصرية ينتظره فى المطار ، ويستقبله بوجه تكسوه أمارات الحُزْن والتجهُّم ، وهو يقول :

ــ معذرة يا سيادة المقدّم ، كنت أودّ أن استقبلك بوجه هاشّ باشّ ، إلّا أنّنى شيّعت قبل وصولك جثمان مهندس مصرىّ قتيل ، ممن كانوا يعملون فى (ماكوكو) ، ولقد غادرت

الطائرة التى تحمل جثمانه المطار ، قبل وصول طائرتك بلحظات .

شعَر (ممدوح) بالأسى ، وهو يقول :

ــ إننى أقدّر ذلك ، وأشاركك شعورك .

مندوب السّفارة :

ــ سأوصّلك إلى فُنْدقك أوّلًا ، ثم نلتقى فى المساء ، ولتعلم أننى أحمل توصية بتلبية كل طلباتك فى (ليبرفيل) .

سأله (ممدوح) فى اهتمام :

ــ هل يمكنك أن تُدبّر لى لقاء مع المدعو (تشومبى) ؟

بدت أمارات القلق على وجه مندوب السّفارة ، وهو يغمغم :

ــ هذا الأمر صعب بعض الشىء فى الواقع ، فعلى الرغم من أن (تشومبى) شخصية معروفة هنا ، إلّا أنه فى عُزْلة دائمة ، ونادرًا ما يرحّب بأية لقاءات أو زيارات .

ممدوح :

ــ لا بأسَ من المحاولة .

صمت مندوب السفارة لحظة مفكّرًا ، ثم أجاب فى حزم :

ــ سأبذل قصارى جَهْدى .

* * *

دقّ جرس الهاتف فى حجرة (ممدوح) ، فى تمام الساعة السابعة صباحًا ، فتناول السمّاعة ، ليستمع إلى مندوب السّفارة المصرية ، وهو يُبادره قائلاً :

ــ لستُ أدرى أمحظوظ أنت أم سيئُ الحظ أيها المقدّم؟.. لقد وافق (تشومبى) على مقابلتك الليلة .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ ما دام (تشومبى) هذا رجلاً تصعب مقابلته ، فأنا محظوظ ولا ريب .

أجابه مندوب السّفارة فى قلق :

ــ ربّما .. ولكن الآخرين يخشوْنَ مثل هذا اللقاء ، فالأساطير والقصص ، التى تحاك حول هذا الساحر الأسود ، مُرعبة .

ممدوح :

ــ هذا يزيد من فضولى ولهفتى لمقابلته ، فأنا أهْوَى لقاء هؤلاء الذين تحاك حولهم الأساطير .. سأستبدل ثيابى ، وألحق بك فى قاعة الفندق ، وأراهنك أنْ لقائى بـ (تشومبى) هذا سيكون متميزًا .. متميزًا جدًا .

* * *

٣ ــ اللعنة السوداء ..

توقّفت السيارة التى تُقلّ (ممدوح) ، ومندوب السّفارة المصريّة ، فى تمام التاسعة مساءً ، أمام فيلّا فاخرة ، تحيط بها حديقة كبيرة ، فى منطقة منعزلة فى أطراف العاصمة الجابونية ، وتقدّم منها رجل زنجى فارع الطول ، يرتدى حُلّة حمراء فاقعة اللون ، واستقبلهم وهو يفتح البوّابة الحديديّة للفيلّا ، قائلاً :

ــ مستر (تشومبى) فى انتظاركما .

تقدّم (ممدوح) ومندوب السّفارة ، خلف الزنجى ، عَبْر عدة ممرّات لولبيّة ، تخترق الحديقة ، التى بدت بنباتاتها الاستوائية ، وسط الظلام الدّامس ، والسُّكون الرهيب ، مثيرة للخوف والقلق ، بأكثر مما تثير الإعجاب بجمالها .. وبين حين وآخر كان يفاجئهم تمثال مُرعب ، عجيب الشكل ، وسط الممرّات اللولبيّة ، حتى شعر (ممدوح) بالرّعدة التى سرت فى أوصال رفيقه ، فحاول أن يُطمْئنه قائلاً :

ــ منذ متى تعمل فى الحقل الديبلوماسىّ فى (إفريقيا) ؟

همس مندوب السفارة فى توتر :

ـ منذ سبع سنوات .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ كان ينبغى أن تعتاد مثل هذه الأجواء ، والتماثيل العجيبة إذن .

غمغم مندوب السفارة فى صوت مرتجف :

ـ إننى لم أشعر بمثل هذه الرهبة من قبل ، طوال عمل هنا .. هناك شيء مخيف يحيط بالمكان .

حاول (ممدوح) أن يقول شيئًا ما ، ولكنه شعر بصعوبة فى التنفس ، وبدا وكأن ثقلًا ما يجثم على حنجرته ، وتساقطت حبات العرق البارد على جبينه ، فتطلع إليه مندوب السفارة فى دهشة وذعر ، وهو يقول :

ـ ماذا بك ؟.. إن وجهك شديد الاصفرار ، حتى لتبدو أسوأ حالًا منى .

توقف (ممدوح) ليلتقط أنفاسه ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك على حق .. هناك أمور غير عادية تحيط بهذا المكان بالفعل .. دعنا نواصل سيرنا .

كان الزنجى قد ابتعد عنهما قليلًا ، غير عابئ بما أصابهما ،



وبين حين وآخر كان يفاجئهم تمثال مرعب ، عجيب الشكل ، وسط الممرات الملتوية ..

ثم لم يلبث أن اختفى فجأة وسط الظلام الدامس ، المحيط بالفيلا ، فواصل (ممدوح) ورفيقه تقدُّمهما نحو المبنى ، على الرغم من ازدياد إحساسهما بصعوبة التنفس والإرهاق البالغ ..

وفجأة بدت لهما وسط الظلام فتاة سمراء ، ترتدى ثوبًا قصيرًا ، من نفس اللون الأحمر الفاقع ، الذى كان يرتديه الزنجى ، وكانت تحمل فى يدها مصباحًا ضوئيًا ، ألقت أشعته على وجهيهما ، وهى تقول فى صوت ناعم رقيق :

ـــ مساء الخير أيها السيِّدان .. مستر (تشومبى) ينتظركما .. اتبعانى .

قادتهما إلى داخل الفيلا ، إلى حجرة واسعة ، فاخرة الأثاث ، تغطَّت جدرانها بمكتبة ضخمة ، تحوى المئات من الكتب فى مختلف التخصُّصات ، وشعر (ممدوح) أن الإرهاق وصعوبة التنفس ، اللذين كان يشعر بهما ، قد زالا بمجرَّد دخوله تلك الحجرة ، وأنه قد استردَّ حيويَّته ونشاطه ، فى حين قالت الفتاة ، وهى تستعدُّ لمغادرة المكان :

ـــ سيحضر مستر (تشومبى) بعد لحظات .. كونا على راحتكما .

تهالك مندوب السِّفارة فوق أقرب مقعد ، فى حين اتجه

(ممدوح) نحو المكتبة ، وتناول من أحد أرففها كتابًا ، لحظ على كعبه بحروف بارزة عنوان : (السِّحر الأسود) ، لمؤلف إنجليزى يُدعى (وولتر ستارك) ، وأخذ يُقلِّب صفحاته ، ويقرأ بعض عناوينه المثيرة الغريبة ، مثل (الموت الشمسىّ) ، و (الموت القمرىّ) ، و (لعنة المثلث الأسْوَد) ، وغيرها ، وبينما هو مستغرق فى ذلك لمح مندوب السِّفارة ، وهو يصبُّ لنفسه بعض الشراب ، من زجاجة على هيئة ثمرة الأناناس ، فصاح به قائلًا :

ـــ لا تشرب هذا .

سأله مندوب السِّفارة فى دهشة وجزع ، وقد اضطرب الكوب فى راحته :

ـــ لماذا ؟.. إننى أشعر بالعطش ، وهذا ليس سوى شراب أناناس مثلَّج .

أجابه (ممدوح) فى حزم :

ـــ نحن لا ندرى ماذا يكون هذا ، وربَّما كان مشروبًا سحريًا .

اضطرب الرجل ، وهو يعيد الكوب إلى المائدة ، ويتطلَّع إليه فى ذُعر ..

وفجأة .. صكّت مسامعهما ضحكة قصيرة حادّة ، من مدخل الحجرة ، فالتفتا إليه ، ليجداه مفتوحًا على مصراعيه ، وقد وقف على عتبته عملاق أسْود ، بالغ الضخامة ، أصلع الرأس تمامًا ، له عينان جاحظتان ، يشعّان ببريق مخيف ، وقد اختلط بياضهما بشىء من الحُمْرة ، وقد بدا كغوريلا ضخمة فى ثوب آدمىّ ، وهو يرتدى سترة رماديّة طويلة تغطّى ركبتيه ، ولها ياقة صلبة ، وأسفلها سروال من اللون نفسه ، ولقد بدا صوته شديد العمق والصرامة ، وهو يقول :

ـــ أنا الرجل الذى جئتما لمقابلته .. أنا (تشومبى) .. الساحر .

* * *

ران الصمت طويلًا ، بعد أن ألقى (تشومبى) عبارته ، وبدا وكأن الحجرة كلها تسبح فى بحر من الغموض والرهبة ، قبل أن يلتفت (تشومبى) إلى مندوب السّفارة ، قائلًا :

ـــ من الواضح أن رفيقك شديد الارْتياب .

ثم تقدّم إلى منتصف الحجرة ، مُستطردًا فى عُمْق :

ـــ اسمى (كورو تشومبى) ، ويُطلقون علىّ هنا اسم (السّاحر العملاق) ، وأحيانًا (الأب الكبير) ، فأنا أرعى مصالح الكثيرين ، وأمدّ لهم يد المساعدة .

قال (ممدوح) متهكّمًا :

ـــ بالألعاب السحريّة ؟!

ابتسم (تشومبى) ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ـــ لقد تركتها لذوى الميول الاستعراضيّة يا فتى ، أما ما أقوم به أنا فهو قوّة خارقة ، لا يمتلكها إلا الندرة النادرة من بنى البشر ، وأنا أعظمهم .

ممدوح :

ـــ وما الذى قدّمته من مساعدات ، إلى أولئك الذين يموتون فى (ماكوكو) ، من ضحايا سدّ (كاتون) .

اكتسى وجه (تشومبى) بالغضب ، وهو يقول فى صوْت هادر :

ـــ لقد حذّرتهم من قبل ، ولكن أحدًا لم يستمع إلى تحذيرى .

ممدوح :

ـــ بمَ حذّرتهم ؟

تجاهل العملاق الأسود إجابة هذا السؤال ، وافترّ ثغره عن ابتسامة واسعة ، كشفت صفّين من الأسنان اللامعة البيضاء ، وهو يقترب من (ممدوح) ، ويلتقط الكتاب الذى يمسك به ، قائلًا :

ـــ هل تستهويك كتب السِّحر الأسْوَد ؟

ممدوح :

ـــ أنا لا أومنُ بوجود سِحْر أسود أو أبيض ، هناك فقط خُزَعْبلات يستخدمها بعض الأشرار ؛ للتأثير على عقول الآخرين ، وإيهامهم بأشياء تخالف المنطق .

أطلق (تشومبى) ضحكة عالية مُجَلْجِلة ، وهو يقول :

ـــ صَدَقْتَ أيها الشاب ، فكل ما جاء بهذا الكتاب مجرَّد خُزَعْبلات ، لا صلةَ لها بالحقائق .

وتطلَّع بعينيه المخيفتين ، الشبيهتين بعينى البومة ، فى عينى (ممدوح) ، وهو يقول فى همْس كالفحيح :

ـــ ولكن السِّحر الأسْود موجود ، ولقد توارثناه منذ أجيال وأجيال ، وهو يختلف تمامًا عمَّا جاء فى كتاب ذلك الإنجليزىّ الأحمق .

شعر (ممدوح) بالإعياء والاختناق يعاودانه ، وهو يتطلَّع إلى عينى (تشومبى) ، حتى أنه لم يقو على مسح حبَّات العرق عن جبينه .. ولم يكد (تشومبى) يبتعد ، ويجلس خلف مكتبه الضخم ، حتى زايلته هذه الحالة ، ورأى العملاق الأسْود يبتسم فى سُخْرية ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ اجلس إلى جوار زميلك ، فأنت تبدو مُنْهكًا .

وأشعل غليونه فى هدوء ، ثم تطلَّع إليهما بعينيه الثاقبتين ، قائلًا :

ـــ لماذا أردتما مقابلتى ؟

أجابه مندوب السِّفارة ، قائلًا :

ـــ السيِّد (ممدوح عبد الوهاب) محقِّق خاص ، أوفدته الحكومة المصرية ؛ لتحرِّى أمر تلك الحوادث الأخيرة ، فى منطقة (ماكوكو) ، حوْل سدّ (كاتون) .

نفث (تشومبى) دُخان غليونه ، وهو يقاطعه قائلًا :

ـــ بل هو رجل أمْنٍ مُحْترف ، أرسلته إدارة العمليات الخاصَّة ، المعروفة باسم (المكتب رقم (١٩)) ، لوضع حدّ لهذه الحوادث .

فغر مندوب السِّفارة فاه ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ كيف عرفْتَ هذا ؟

ابتسم (تشومبى) ، قائلًا :

ـــ (تشومبى) يعلم كل شىء يا رجل .. لقد طلبتما مقابلتى ؛ لأنكما أردتما معرفة العلاقة بين نُبوءتى ، والحوادث الغامضة فى (ماكوكو) .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، مُسْتطردًا :

— لقد أخبروك أننى أمارس السحر ، قبل أن يرسلوك إلى هنا ، وربما لم يخبروك أيضًا أننى من عائلة واسعة الثراء والشهرة هنا ، فى (الجابون) ، وأننى حاصل على أعلى الدرجات فى علم (الفيزياء) من (السوربون) ، وهذا يعنى أنك تجلس أمام رجل مثقف متحضر ، وأن ما أقوله — وترفضه — عن السحر الأسود ، و (اللعنة السوداء) ، يصدر عن رجل هو أبعد ما يكون عن الدجل والشعوذة .. إن (اللعنة السوداء) تشبه ما تطلقون عليه اسم (لعنة الفراعنة) .. إنها لعنة أبدية ، تنصب على كل من يجرؤ على تحديها ، عبر الزمان والمكان .. وهذا ما أصابكم فى بلادنا .. فمنذ عصور بعيدة غزا المصريون أرضنا ، واستقروا فى المنطقة التى تعرف الآن باسم (ماكوكو) ، وحاولوا أن يسيطروا علينا ، ويسوقوا شعبنا كأرقاء إلى بلاد الفراعنة ، ولكن سحرة (ماكوكو) تصدوا لهم ولكن قدماء المصريين كانوا أبرع أهل الأرض فى السحر — حينذاك — لذا فقد دار بين الجانبين صراع هائل رهيب استحضرت فيه كل قوى الشر فى الكون ، وانتهى بمصرع كل سحرة (الجابون) ، ودفنهم فى (ماكوكو) ..

ولكن (اللعنة السوداء) كانت قد انطلقت من عقالها وأصبح من المستحيل كبحها ، فلم تلبث أن قضت على

المصريين بدورهم ، بعد عدة أسابيع ، وتحولت إلى لعنة أبدية ، تصب شرورها على كل من يطأ أرض (ماكوكو) من نسل الفراعنة ، وكل من يحاول أن يمد لهم يد المساعدة ، وهذا مسجل على جدران كهوف (ماكوكو) ، وفى مخطوطات السحر الأسود القديمة ، المتوارثة عن الأجداد ، والتى تختلف تمامًا عن ذلك الكتاب الساذج ، الذى كنت تطالعه ، والتى تروى مذابح سحرة (الجابون) ، وأسرار (اللعنة السوداء) ، التى تقضى على كل من ينتمى إلى بلادكم ، وأنا لم أفعل سوى التحذير من ذلك الخطر ، ولكن أحدًا لم يستمع إلىّ ، على الرغم من أنهم كانوا يطيعون كل نصائحى فيما سبق ، ولا يحق لهم الآن إلا أن يلوموا أنفسهم ، بعد أن تسببوا بعنادهم فى إطلاق اللعنة ..

وازداد صوته عمقًا وصرامة ، وهو يستطرد :

— إن وجودكم فى (ماكوكو) عظيم الخطر ، ليس بالنسبة لكم وحدكم ، ولكن بالنسبة لأهالى (ماكوكو) أيضًا ، فاللعنة السوداء ستبيد الجميع بلا تفرقة ..

أنتم وحدكم أطلقتم (اللعنة السوداء) من عقالها .. ورحيلكم وحده قد يكبح جماحها ..

* * *

٤ ــ الفخُّ القاتل ..

سأل مندوب السَّفارة المصريَّة (ممدوح) ، وهما فى طريق العَوْدة :

ــ ما رأيك فيما قاله هذا الرجل ؟

ممدوح :

ــ إن روايته عن (اللعنة السَّوداء) لم تقنعنى مطلقًا ، ثم إن التاريخ لا يشير أبدًا إلى قدوم المصريين القدماء إلى هذه البلاد ، ولكن الرجل ــ مع ذلك ــ يتمتَّع بقدرات غير عاديَّة ، فهو ــ كما قال ــ ليس مجرَّد ساحر أو مُشَعْوِذ .. إنه رجل واسع الثقافة ، عظيم النفوذ ، مما يجعل الأمر أكثر خطورة ، لو ثبت أن له علاقة مباشرة بما يحدث فى (ماكوكو) .

مندوب السَّفارة :

ــ لست أدرى كيف أفسِّر تلك المشاعر الغريبة ، التى انتابتنى فى قبلته !!

ممدوح :

ــ هذا شعورى أيضًا ، وأعتقد أنه كان يحاول التأثير علينا بشكل ما ، استعراضًا لقوَّته .

ثم أطرق لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ــ سأسافر غدًا إلى (ماكوكو) ، وعليك أن تحاول تدبير مكان لى ، وسط العاملين فى سدّ (كاتون) .

بعد لحظة من التردُّد ، أجابه مندوب السَّفارة :

ــ سأحاول تنفيذ ذلك ، ولكن كن على حذر ، حينما تذهب إلى ذلك المكان الملعون .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك قد صدَّقت ما يقوله (تشومبى) عن اللعنة السَّوداء .

تطلَّع مندوب السَّفارة إلى الطريق الممتد أمامه فى وُجُوم ، ثم قال :

ــ ما يحدث فى (ماكوكو) لم يحدِّد لونه بعد أيها المقدَّم ، وأيًّا ما كان هذا اللون فهو لعنة .. لعنة مُخيفة .

* * *

وصل (ممدوح) إلى (ماكوكو) فى ساعة مبكِّرة من الصباح ، وبدت له الصورة أكثر وضوحًا ، حينما قضى يومه كله فى صحبة العاملين فى سدّ (كاتون) ..

كان الكثيرون قد تركوا العمل فى المشروع ، ولكن العدد الكبير الباقى ساعد (ممدوح) على جمع بعض المعلومات الهامة ، عن الحوادث الغامضة ، وإن اختلفوا فى تفسير أسبابها ، فقد ردها البعض إلى رجال القبائل والحيوانات المفترسة ، التى تزخر بها الأحراش المحيطة بالمنطقة ، وعزاها البعض الآخر — وبخاصة الجابونيون — إلى ماقاله (تشومبى) عن (اللعنة السوداء) الغامضة ..

وفى ساعة متأخرة من الليل دلف (ممدوح) إلى منزله الخشبىّ الصغير ، الذى أعِدّ له ، بعد أن أضناه البحث والاستفسار ، ولم ينس أن يتأكد من حشو مسدسه ، قبل أن يدسه تحت وسادته ، تأهبًا لمختلف الاحتمالات ، فى أول ليلة له فى الأرض الملعونة — كما يطلقون عليها ، وأخرج من حقيبته مرآة متوسطة الحجم ، وضعها فوق المنضدة المجاورة للفراش ، فى مواجهة باب الكوخ ، فى وضع يسمح له برؤية أى شخص يحاول التسلل إلى الداخل ، وهو يوليه ظهره ، وتعمد أن يوقد ضوءًا خافتًا ، يسمح له بالرؤية ، وبعد أن اطمأنّ إلى كل تدبيراته ، ترك نفسه يستغرق فى نوم عميق .

وفى الثانية بعد منتصف الليل ، جفل (ممدوح) فجأة ،

ورفع رأسه عن الوسادة فى حركة حادة ، وقد شعر بأطراف خشنة رفيعة تتحرك فوق ساقه ، ولم يكد يتطلع إلى تلك الأطراف حتى تجمد فى مكانه تمامًا ، فقد كان هناك عقرب أسود ، من أشد أنواع العقارب خطورة وسمية ، يتحرك فوق ساقه فى بطء ...

ولم يدر (ممدوح) كيف يجابه هذا الخطر الداهم ، فقد كان يعلم أن أية حركة مفاجئة منه ستثير العقرب ، وتدفعه إلى دفع طرف ذنبه السام فى ساقه ، مما يقضى عليه خلال خمس ثوانٍ على الأكثر ، وبقاؤه ساكنًا سيجعل العقرب حرًا فوق جسده ، يختار المكان المناسب ، ليلقى فيه سمه الفتاك ، وفى كلتا الحالتين ، سيلقى حتفه حتمًا ..

وعلى الرغم من حواسه المتحفزة المشدودة ، التقطت أذناه صرخة مكتومة ، انطلقت من الكوخ الذى يجاوره ، وشعر بالتوتر لعجزه عن تحرى الأمر ، فى موقفه العصيب هذا ..

وفجأة جالت بخاطره فكرة ، فألقى رأسه على الوسادة ، ومد ذراعه إلى الوسادة المجاورة ، والتقط المرآة بأطراف أصابعه ، وهو يبذل جهدًا خارقًا حتى لا يتحرك جزء واحد من جسده ، بخلاف ذراعه ، متحاشيًا إثارة العقرب ، ثم اعتدل فى بطء وحذر ، والعرق يتصبب من وجهه ، ووضع المرآة فى

هدوء حَذِر فوق ركبته ، وتمنَّى من أعماق قلبه أن يُكْمِلَ العقرب طريقه ، ليصعد فوق المرآة ، وهو يخشى أن يتحاشاها ، أو يغرز طرف ذنبه السام فى ساقه ، قبل أن يصل إليها ..

ولكن العقرب واصل طريقه ، وصعد فوق المرآة ، وهنا التقط (ممدوح) قدّاحته ، وأدار ترسًا خفيًا فى جانبها ، وهو يصوِّب فُوّهتها نحو العقرب ، وعلى الفور انطلق من فُوّهة القدّاحة خيط من أشعة الليزر ، أحال العقرب فى لحظة إلى جسم متفحِّم ، وتشقّقت المرآة ، وذابت أطرافها ، فأصابت ساق (ممدوح) بعض الحروق ، ولكن سعادته بالإفلات من الخطر جعلته يقفز من فراشه فى نشاط ، متجاهلًا حروقه السطحيّة ، ويلتقط مسدّسه من أسفل الوسادة ، ويندفع خارج الكوخ ، فى طريقه لتحرِّى سرّ تلك الصرخة المكتومة ، التى سمعها منذ لحظات ..

ولم يكد يصل إلى الكوخ ، الذى انبعثت منه الصرخة ، حتى ألفى بابه مفتوحًا ، فألقى نظرة داخله ، ليجد كل محتوياته مبعثرة ، وقد اختفى المهندس المصرىّ الذى يقطنه ، كما استرعى انتباهه خيط من الدم إلى جوار الباب ، فقال لنفسه :

ـــ لقد حاول المسكين أن يقاوم ، فأصابوه ..

وأسرع يخرج من جيبه منظارًا ذا عدسات خاصة ، تتيح له الرؤية فى الظلام ، ووضعه فوق عينيه ، ثم انطلق يتابع آثار الدماء المتناثرة ، وهو يقبض على مقبض مسدّسه فى قوة ، حتى قادته قدماه إلى الأحراش المحيطة بمنطقة العمل ، فاخترقها وهو يتلفَّت حوله فى حَذَر وتأهُّب ..

وفجأة وجد أمامه المهندس المصرىّ ، مقيّدًا إلى جذع شجرة ضخمة ، على بعد عدة أمتار ، والدماء تسيل من ساقه وذراعه ، فاندفع نحوه ، ولكن منظاره ذا العدسات الخاصّة جعله يلمح حَرْبة تختفى بين الأغصان المتشابكة ، تتحفز للاندفاع نحو صدره ، حينما يقترب من الرجل المُوثَق ..

كان فخًا مثاليًا قاتلًا ..

وفى براعة نادرة ، انطلقت رصاصة (ممدوح) لتشطُرَ الحَرْبة إلى نصفين ، وأربكت المفاجأة صاحب الحربة ، الذى يختفى وسط الأغصان المتشابكة ، فاندفع يركض على غير هُدَى ، وانطلق (ممدوح) خلفه فى سرعة ومهارة وخفّة ، ليقطع طريقه ، ووجد نفسه أمام زنجى ضخم الجُثّة ، عارى الصدر ، يخفى رأسه ، ونصفه السفلى بأنواع مختلفة من ريش الطيور ، ويغطّى وجهه بأصباغ متنافرة الألوان ..



وأطلق الزنجى صرخة مُفزعة ، وهو يستلّ خنجره ، وينقضّ على (ممدوح) ، الذى صوّب إليه مسدسه ..

وأطلق الزنجى صرخة مُفزعة ، وهو يستلّ خنجره ، وينقضّ على (ممدوح) ، الذى صوّب إليه مسدسه ، صائحًا فى صرامة :

ـ أنت تعلم ولا ريب أن رصاصتى أسرع من خِنجرك .

توقّف الزنجى على بعد خطوات من (ممدوح) ، وظهر التردُّد فى ملامحه ، فاستطرد فى لهجة آمِرة :

ـ ألقِ خِنجَرك ، وأخبرنى من تكون .

لم يُلقِ الزنجىُّ خِنجره ، وإنما أخذ يصرُخ بكلمات غامضة مبهمة ، ويدقّ الأرض بقدميْه فى تتابع عجيب ، حتى برز من وسط الأشجار فجأة قردٌ وحشىّ ضخم ، أخذ يتجاوب مع حركات الرجل وصرخاته بأخرى مشابهة ، ثم لم يلبث أن أبرز أنيابه الحادّة القويّة ، وأدار عينيه المخيفتين إلى (ممدوح) ، ثم انقضّ عليه وهو يطلق زمجرة وحشية مخيفة ...

وأطلق (ممدوح) رصاصة مسدسه على رأس القرد ، الذى توقّف بغتة ، ثم سقط صريعًا ، ولم يكد جسده يستقر على الأرض ، حتى برزت عِدّة قِردةٍ مُشابِهَة من بين الأشجار ، وأحاطت بـ (ممدوح) ، وهى تشق الليل بزمجرتها الرهيبة المخيفة ..

لقد أطبق الفخ فكيه وأنيابه تمامًا ..

* * *

٥ ــ الفهد الآدمىّ ..

انتهز الزنجى فرصة ظهور القردة ، وانشغال (ممدوح) بمحاولة الدفاع عن نفسه فى مواجهة أنيابها القاتلة ، واختفى مسرعًا وسط الأحراش ، فى حين حاول (ممدوح) أن يشقّ لنفسه ثغرة ، وسط القردة المتوحّشة ، التى أحاطت به ، ليصل إلى المهندس المقيّد فى جزع الشجرة ، وتجاهل فرار الزنجى ، وهو يطلق رصاصاته على القردة ، التى سقط عدد منها مجندلًا ، فى حين تراجع البعض الآخر ، دون أن يغادر المكان تمامًا ، فاندفع (ممدوح) وسط الثغرة ، التى أحدثتها رصاصاته ، وأسرع يركض نحو المهندس ، ويحلّ وثاقه فى عجلة ، وهو يعلم أن القردة لن تلبث أن تعاود الكرّة ..

وبالفعل ، لم يكد ينتهى من حل وثاق الرجل ، حتى كانت القردة قد أحاطت به مرة أخرى ، وقد ازدادت شراستها ، مما دفعه إلى إطلاق رصاصته الأخيرة على رأس أحدها ؛ ليرديه قتيلًا ..

وأدركت القردة بغريزتها أن خصمها قد فقد وسيلة دفاعه ، فزمجرت فى وحشية ، وهى تنقضّ عليه بأنيابها الحادة القاتلة ..

وفجأة تعالت دقّات الطبول ، وتعالى الضجيج فى المكان ، وانطلقت الأعيرة النارية من جهات مختلفة ، لتصيب عددًا من القردة ، ففرّ الباقون فى ذعر ، ورأى (ممدوح) ورفيقه عددًا من العاملين بالسد يبرزون من خلف الأشجار ، وهم يحملون الطبول ، والصفائح الفارغة ، والبنادق ، وهتف أحدهم :

ـــ لقد سمعنا صوت الطلقات ، وصيحات القردة ، وكشفنا أنك والمهندس (عادل) قد اختفيتما ، فأسرعنا إلى هنا ، ولقد وصلنا فى الوقت المناسب لحسن الحظ ، ولكن ما الذى أتى بكما إلى هنا ؟

ممدوح :

ـــ لا وقت لإلقاء الأسئلة .. المهم أن نسرع بنقل المهندس (عادل) إلى الوحدة الطبية ، فلقد نزف الكثير من دمه ، وحالته تزداد سوءًا .

أجابه (هوجو) رئيس العمال :

ـــ إنه حسن الحظ يا سيّد (ممدوح) .. إنه أحد القلائل الذين نجوا من (اللعنة السوداء) .

* * *

جلس (ممدوح) إلى جوار المهندس (عادل) ، فى الصباح التالى ، حيث وجده ممددًا فوق سريره ، والضمادات تحيط بكتفه وساقه ، وقال له وهو يبتسم :

— حمدًا لله على نجاتك .

قال المهندس المصرى فى امتنان :

— شكرًا على تدخلك لمساعدتى فى الوقت المناسب .

ممدوح :

— هل يمكنك أن تروى لى ما حدث أمس بالتفصيل ؟

المهندس (عادل) :

— لقد هاجمنى أحد الزنوج أمس فى أثناء نومى ، ولقد حاولت مقاومته ، ولكنه أصابنى بخنجره فى وحشية ، فى أجزاء متفرقة من جسدى ، ثم ضربنى على رأسى فى قوة ، ففقدت الوعى ، ولم أدر بعدها ماذا حدث .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

— يجب أن تحمد الله (سبحانه وتعالى) على هذه النتيجة ، فلقد كدنا نذهب طعامًا للقردة أمس .

قال المهندس (عادل) ، والخوف يرتسم فى ملامحه :

— أريد أن أعلم ماذا حدث هنا .. إن الأمر ليس مجرد زنوج تهاجمنا ، وقردة تحاول أن تفتك بنا ، إنهم يقولون إنه هناك لعنة فى المكان ، منذ جئنا إليه ، وربما كان الأهالى هم من يحاول التخلص منا ، قبل أن تشملهم اللعنة .

نهض (ممدوح) متأهبًا للانصراف ، وهو يقول :

— إننى أتفق معك فى أن ما يحدث هنا أمر عجيب ، ولكننى أعدك بالتوصل إلى الحقيقة كاملة ، فهذا هو الغرض الذى أتيت من أجله ، والآن حاول أن تستريح ، ولا تقلق نفسك بمثل هذه الأمور .

لم يكد (ممدوح) يغادر الوحدة الطبية حتى وجد رئيس العمال الجابونيين ، (هوجو) فى انتظاره ، فصافحه فى حرارة ، وسار (هوجو) إلى جواره ، وهو يقول :

— إن ما حدث أمس يؤكد وجود قوى شريرة فى المكان يا سيادة المقدم .

أجابه (ممدوح) فى استخفاف :

— هل أنت ممن يؤمنون بهذه الخرافة ؟

هز الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— لا ، ولكن (تشومى) لا يريدكم هنا لسبب ما ، وهو

يستخدم كل قواه فى السِّحر الأسود ؛ لإبعادكم عن (ماكوكو) بشتى الطرق والوسائل .

تأمله (ممدوح) فى اهتمام : قائلاً :

ـــ ما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

أجابه (هوجو) بلهجة واثقة :

ـــ إن تلك القِرَدة التى هاجمتكما ـــ أنت والمهندس (عادل) ـــ أمس ، لا تأتمر بأوامر الآخرين ، ولا تخضع لسلطانهم ، إلا تحت تأثير السِّحْر .

تظاهر (ممدوح) باللامبالاة ، وهو يقول :

ـــ لقد رأيت القُرُود تفعل فى السيرك ما هو أكثر من ذلك ، بفضل التدريب الجيد و ..

قاطعه (هوجو) بنفس اللهجة الواثقة :

ـــ النمور والأُسُود أيضًا يمكن تدريبها فى السيرك ، ولكن ليس هذه القردة المتوحِّشة .

ممدوح :

ـــ هل تريد أن تقول إن ذلك الزنجى ، ذا الريش والأصباغ ، من أعوان (تشومبى) ، وأنه هو الذى استدعى القِرَدة للفتك بنا ؟

هوجو :

ـــ الكثيرون يخضعون لسلطان (تشومبى) ، وليس الحيوانات والبشر فقط ، هناك أيضًا الشياطين ، وقوى الطبيعة .

أراد (ممدوح) مجاراة (هوجو) ، فسأله فى اهتمام :

ـــ وأى تأثير لـ(تشومبى) عليك ؟

أطلت نظرة رُعب من عينى الرجل ، وهو يقول :

ـــ الخوف .. إننى لست ممن يخضعون لسلطانه ، ولكننى أخافه ، وأخاف أن أخضع له يومًا مثل الآخرين .

ممدوح :

ـــ لماذا لم تفرّ إذن كالآخرين ، ما دمت تخشاه إلى هذا الحد ؟

هوجو :

ـــ لأننى وابنتى نحتاج بشدة إلى الأجر الكبير ، الذى نتقاضاه هنا ، وهذا يساعدنا على التغلُّب على خوفنا ، ولكن لدىّ اقتراحًا قد يفيد .

ممدوح :

ـــ ما هو ؟

اقترب الرجل منه ، وتلفت حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد ، وهو يهمس فى أذنه :

ــ إننى أقترح الاستعانة بساحر آخر ، يمكنه التصدى لسحر (تشومبى) .

تطلع إليه (ممدوح) فى دهشة ، ولقد تعجب من اقتراحه ، على الرغم من أنه يتفق مع أسلوب تفكير البسطاء فى تلك البلاد ، فى حين استطرد (هوجو) :

ــ هناك ساحر فى (الكونغو) له نفس قوة ونفوذ (تشومبى) ، ولو أنكم استدعيتموه ، ودفعتم له أجرًا مناسبًا ، قد يمكنه أن يمحو سحر (تشومبى) و ..

قاطعه (ممدوح) ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ حسنًا .. سأنقل اقتراحك إلى المسئولين .

ولكنه شعر فى أعماقه أن سيطرة (تشومبى) على عقول أهالى المنطقة رهيب ، وأن تحدى (اللعنة السوداء) لن يكون هيّنًا .. لن يكون كذلك أبدًا ..

* * *

جلس (ممدوح) ، فى تلك الليلة ، وسط حلقة السَّمَر ، التى جمعت العاملين فى سدّ (كاتون) ، وقد جذبتهم تلك

الرقصات الإفريقية ، التى يؤديها العمال الجابونيون على إيقاع الطبول ، وبدا المناخ شديد المرح ، والمصريون يحاولون محاكاة الجابونيين فى رقصاتهم ، إلا أن (ممدوح) شعر بالتعب ، فانصرف إلى كوخه ، ولم يكد يخطو بضع خطوات ، مبتعدًا عن حلقة الرقص ، حتى لمحت عيناه شبح شخص يحاول التسلل إلى كوخه ، فاستلّ مسدسه ، واقتحم الكوخ فى جُرأة ..

ولدهشته بدا الكوخ خاليًا ، يضيئه بصيص من الضوء ، فتقدّم (ممدوح) داخله فى دهشة وحَذَر ..

وفجأة انفتح باب إحدى الحجرات خلفه ، وهوت يد ذات مخالب على مسدسه ، فأسقطته أرضًا ، وأصابت رسغ (ممدوح) ببعض الخدوش ، ورأى أمامه زنجيًا ضخمًا ، يغطى وجهه وجسده بفراء الفهود ، ويثبّت فى قبضته مخالب النهود .

وزأر الرجل الفهد فى وجه (ممدوح) كالوحش الكاسر ، وهو يهوى بمخالبه على جسده ، وتفادى (ممدوح) الضربة القاتلة فى مهارة ، واستخدم واحدة من حركات الكاراتيه التى يجيدها ، ليركل الرجل فى معدته بقوّة ، ثم عاجله بلكمة قوية فى فكّه ..

وترنّح الرجل ، ولكنه لم يسقط أرضًا ، وإنما أطلق زئيرًا قويًا ، حجبه قَرْعُ الطُّبول عن المتسامرين فى الخارج ، وانقضّ على (ممدوح) ، وهو لايبغى هذه المرّة سوى هَدَفٍ واحد ..

قتله ..

* * *



٦ ـــ الثعبان الخرافىّ ..

هوت المخالب القاسية مرّة أخرى ، لتصيب كتف (ممدوح) ، وتمزّق قميصه ، ولكنه تحامَلَ على نفسه ليراوغ خصمه ، وهو يستعد لتسديد ضربة قاتلة إلى عنقه ، وهوَى (ممدوح) براحة يده على صُدْغ خصمه الأيسر ، وسمعه يتأوّه فى ألم ، فعاجله بلكمة كالصاعقة فى فكه ، أطاحت به إلى الوراء ، ثم ارتكز على أصابع قدمه اليسرى ، وتحوّل فى براعة منقطعة النظير إلى طاحونة تدور حول محور واحد ، وهو يسدّد فى كل دَوْرة ركلة إلى وجه خصمه وجسده ، مطبّقًا كل ما تعلمه من مدرّبه الكورىّ فى دِقّة أذهلت غريمه ، وأعجزته عن استغلال مظهره المخيف ، أو استخدام مخالبه القاتلة ..

وأخيرًا قفز (ممدوح) فى الهواء ككرة مطاطيّة ، ليركل خصمه فى وجهه ركلة ساحقة ، طرحته أرضًا ، عاجزًا عن الحركة ، ثم التقط (ممدوح) مسدّسه من الأرض ، وصوّبه إلى غريمه ، قائلًا :



وهو يسدد فى كل دورة ركلة إلى وجه خصمه وجسده ..

— والآن انزع هذه المخالب السخيفة ، ودعنا نرى ماذا تخفى تحت قناع الفهد هذا .

انصاع الرجل لأوامره ، ونزع مخالبه ، ثم أزاح قناع الفهد عن وجهه ، فاتسعت عينا (ممدوح) فى دهشة ، وهو يهتف :

— أنت ؟! .. أنت يا (هوجو) ؟! .. لماذا فعلت ذلك ؟

أطرق (هوجو) برأسه ، قائلاً فى مرارة :

— إننى أنفذ أوامر (تشومبى) .

ممدوح :

— تشومبى ؟! .. ولكنك أخبرتنى أنك ..

لم يتمّ (ممدوح) عبارته ، فقد تلقّى على مؤخرة رأسه ضربة قويّة ، أسقطته فاقد الوعى ..

* * *

استردّ (ممدوح) وعيه بعد لحظة واحدة ، ورأى (هوجو) والشخص الآخر ، الذى باغته من الخلف ، يفرّان ، فتحامل على نفسه ، ونهض لمطاردتهما ، على الرغم من الآلام الشديدة التى يشعر بها ، فى رأسه وجسده ، وقد قرّر أن يعرف المكان الذى سيلجآن إليه ..

ولقد كانت الليلة مقمرة ، والأشجار تعكس ظلالاً قاتمة ،

عندما اقتحم الرجلان الأحراش القريبة ، وفى أثرهما (ممدوح) ، وأضفت صرخات حيوانات الغابة وصيحاتهم مزيدًا من الرهبة على الأدغال المخيفة ، ولكن (ممدوح) كان قد عقد العزم على مطاردة الرجلين ، مهما كان حجم المخاطر التى تنتظره ..

واستمرّت المطاردة ساعة كاملة ، وسط الأدغال والأحراش ، حتى رأى (ممدوح) الرجلين ، وهما يلقيان بنفسهما وسط بحيرة من المياه الراكدة ، فانتظر حتى وصلا إلى شاطئ البحيرة المقابل ، ثم غاص فى مياهها بدوره ، مواصلاً المطاردة ..

وفجأة برز أمامه ثعبان بالغ الضخامة ، شقّ الماء الذى بدا وكأنه يفور ويغلى ..

بالغ الضخامة حتى لقد تصوّره (ممدوح) أحد ديناصورات ما قبل التاريخ ..

وتراجع (ممدوح) فى ذهول ، حينما فرد الثعبان من جانبيه جناحين كأجنحة الخفاش ، كادا يغطيان سطح الماء كله ، ورأى الثعبان يحلّق فى الهواء ، وينقضّ عليه فى شراسة ، وقد فتح فكيه على اتساعهما ، كاشفًا أنيابه الحادّة الرهيبة ...

وحاول (ممدوح) أن ينتزع خنجره من غمده ، ولكن الثعبان ، الذى بدا وكأنه قد أدرك مقصده ، راح يضربه بجسده

ضربات متلاحقة قوية سريعة ، وكأنما يحاول إجباره على الغوص فى الماء ..

وحاول (ممدوح) أن يتماسك ، على الرغم من قوة الضربات ، ولكن الثعبان دار حوله فى سرعة خارقة ، وأخذ ينقضّ عليه فى كل دورة ، محاولاً إنشاب أنيابه فى جسده ، و (ممدوح) يدور حول نفسه ، محاولاً تفادى انقضاضات الثعبان ، ويطعن الهواء بخنجره ، محاولاً طعنه ، حتى اكتنفه دوار شديد ، ووجد نفسه يغوص فى مياه البحيرة الراكدة ، ويغيب عن الوعى ..

* * *

استعاد (ممدوح) وعيه فجأة ، فوجد نفسه سجينًا فى مكان غريب ، وقدماه مقيّدتان بسلسلة معدنية فى جدار صخرىّ ، وسط ظلام دامس ، وشعور بآلام مبرّحة فى جسده ، وإحساس بالضعف ، وبعدم القدرة على التركيز ، فأسند رأسه إلى الجدار الصخرىّ ، وحاول أن يعود بذاكرته إلى الوراء ..

وخيّل إليه ــ فيما يشبه الحلم ــ أن ثلاثة زنوج قد انتشلوه من البحيرة ، وعبروا به كهفًا تخفيه مياه شلال ، حيث كان



وبينما كان يحاول تذكّر المزيد فُتح باب سجنه الصخرىّ ، ودلفت منه فتاة زنجية رشيقة ، تحمل مصباحًا ضوئيًا صغيرًا ..

هناك باب معدنى تغطيه الطحالب والأعشاب المائية ، وأن هذا الباب قد تحرّك بناء على أمر أصدره أحد الزنوج الثلاثة ..

كان هذا هو كل ما يذكره ، وهو فى حالة من اللاوعى ، قبل أن يفقد وعيه تمامًا ..

وبينما كان يحاول تذكّر المزيد فُتح باب سجنه الصخرىّ ، ودلفت منه فتاة زنجية رشيقة ، تحمل مصباحًا ضوئيًا صغيرًا ، ووضعت أمامه إناء فخاريًا يحوى بعض الطعام ، ثم همّت بالانصراف دون أن تنبس ببنت شفة ، فقبض على ذراعها بكل ما تبقّى له من قوّة ، وهو يسألها :

ــ أين أنا ؟.. ما الذى جاء بى إلى هنا ؟

أجابته الفتاة فى هدوء ، وهى تحدجه بنظرة صارمة :

ــ ليست لدى إجابة سؤالك أيها الأبيض .

صاح فيها (ممدوح) :

ــ أبيض أو أسود .. أريد إجابة عن هذا السؤال .

أجابته الفتاة بنفس النبرة الهادئة :

ــ محظور أن أخبرك .. إننى هنا لتقديم الطعام فحسب ، والآن هل تسمح بترك ذراعى ؟

انفعل (ممدوح) هاتفا :

— لن أتركك قبل أن أسمع جواب سؤالى ، أو تحرّرينى من هذا القيد اللّعين ..

ولكن الإعياء الذى يشعر به .. جعل قبضته تتراخى تدريجيًا ، وأنفاسه تتلاحق فى صعوبة ، فقالت الفتاة فى صوت يحمل رنّة أسًى :

— من الأفضل لك أن تتناول طعامك ، فأنت شديد الضعف والوهن ، وسأترك لك المصباح هنا ، حتى تنتهى من طعامك .

ثم أزاحت قبضته فى هدوء ، وغادرت المكان ، وأغلقت الباب خلفها فى إحكام ، وتركته يحدّق فى الباب المعدنىّ لحظات ، وهو يحاول استجماع شتات ذهنه ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الطعام ، وأقبل عليه يلتهمه فى نهَم ، وهو يغمغم :

— أنت على حق .. إن الخطوة الصحيحة هى أن أستردّ قوّتى أوّلًا .

وأردف فى صرامة :

— وبعدها نبدأ جولة جديدة مع (اللعنة السّوداء) ..

* * *

٧ — كهف الشيطان ..

فُتح باب سجن (ممدوح) مرّة أخرى ، ليدلف إليه زنجيان عاريا الصدر ، مجعّدا الشعر ، يرتديان سروالين قصيرين ، ويمسك كل منهما مدفعًا رشاشًا ، وأخذ أحدهما يحلّ قيد (ممدوح) ، ثم عاونه على النهوض ، ودفعه إلى زميله ، الذى دفعه أمامه فى قسوة ، حتى أدخله إلى حجرة أخرى ذات جدار صخرى ، إلا أنها أكثر اتساعًا ورفاهية ، فأرضيتها رخامية ، وتمتلئ بالأثاث الشبيه بأثاث قصور الشرق القديمة ، فالمقاعد أنيقة ، محشوة بريش النعام ، والوسائد حريرية أنيقة ناعمة ..

وتطلّع (ممدوح) مبهورًا مشدوهًا إلى تلك الحجرة ، وخلفه يقف الزنجيان ، ثم انشق أحد الجدران فجأة ، ليكشف عن فجوة صغيرة ، تسمح بمرور شخص واحد على الأكثر ، أو شخصين نحيلين ، وتراجع (ممدوح) منزعجًا ، حينما رأى فهدًا أسود يمرق من الفجوة ، ويتطلّع إليه فى وحشية ، وازداد انزعاجًا حينما وقع بصره على العملاق الذى تبع الفهد ، إلى داخل الحجرة ، والذى لم يكن سوى (تشومبى) ..

وكانت عينا (تشومبى) الجاحظتان تبدوان أكثر وحشية من عينى الفهد ، ولقد بدا مظهره مختلفًا تمامًا هذه المرة ، فلقد تخلّى عن سترته الرماديّة الطويلة ، التى تمنحه مظهر الحكماء والفلاسفة ، واستبدل بها سروالًا قصيرًا ، ومجموعة من العقود الملوّنة ، التى تحيط بعنقه ، وتتدلّى على صدره العارى ، فى مظهر لا يتفق أبدًا مع خريج جامعة (السُّوربون) ..

وابتسم (تشومبى) ، وهو يقول :

— ها نحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا مستر (ممدوح) .

همَّ (ممدوح) بالتحدُّث ساخرًا ، إلا أن عينى الفهد الشرستين جعلتاه يطبق شفتيه فى حنق ، فابتسم (تشومبى) لموقفه ، وصاح يأمر الفهد بالسكون والهدوء ، وذُهِل (ممدوح) حينما رأى الفهد ينصاع لأوامر سيِّده ، وتختفى من عينيه تلك النظرة الوحشية ، فى حين استوى (تشومبى) جالسًا على أحد المقاعد الوثيرة ، وتبعه الفهد ليرقد تحت قدميه ، قبل أن يأمر هو الزنجيَّين بالانصراف ، ثم يدعو (ممدوح) للجلوس إلى جواره ..

وجلس (ممدوح) صامتًا ، وهو يراقب (تشومبى) ، الذى أخذ يشعل بعض البخور فى محرقة قائمة أمام مقعده ،

فانطلق على الأثر دخان كثيف ، له رائحة عطرية غمرت المكان ، وأغلق (تشومبى) عينيه ، ثم عاد يفتحهما ويسلِّطهما على الدُّخان ، ثم يغلقهما وكأنه يعيش لحظات تأمُّل عميقة ، فقطع عليه (ممدوح) صمته ، قائلًا :

— هل لى أن أعلم لماذا جئت بى إلى هنا ؟.. وما الذى تحاول إثباته بألاعيبك السحرية فى المنطقة ؟

تجاهله (تشومبى) تمامًا ، وظلَّ مغلق العينين ، يتمتم بعبارات مبهمة ، ثم لم يلبث أن التفت إليه ، قائلًا فى برود :

— لعلَّك مندهش لرؤيتى على هذا النحو غير المألوف .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، قائلًا :

— لم يعد هناك ما يدهشنى بشأنك ، بعد كل ما سمعته منك وعنك .

أطلق (تشومبى) ضحكة مجلجلة ، قبل أن يقول :

— إنك فى الواقع شابٌ ذكىٌ ، ولقد أدركت ذكاءك هذا منذ لقائنا الأوَّل ، ولكن عقلك — على الرغم من ذلك — يظلّ قاصرًا عن فهم ما تراه هنا ، فهو يفوق قدراتك العقلية ، ويتجاوز حدود منطقك .

ممدوح :

— هذا ما تحاول أن توهم به الآخرين ، وقد تنجح فى خداع الأهالى والبسطاء هنا ، ولكنك لن تفلح فى خداعى أنا .

ابتسم (تشومبى) ، وتطلّع إليه وهو يقول :

— وماذا عن ذلك الاختناق ، الذى شعرت به فى حديقة فيلتى ، والثعبان المجنّح ، الذى هاجمك فى البحيرة ، والدُّوار الذى أصابك ، ألم تقتنع بعد كل هذا بأنك تواجه قوى خارقة للطبيعة .

ممدوح :

— إذن فأنت تعترف بأنك خلف كل هذا ، وأنك وراء كل الجرائم والظواهر الشرّيرة ، التى تحدث فى المنطقة ، وأنه لا وجود للعنتك السوداء المزعومة ، التى حاولت إقناعى بها فى لقائنا الأوّل !

تشومبى :

— أنت على حق .. لا توجد لعنات ، ولكن هذه الأرض ، التى تقيمون السدّ فوقها ، مقدّسة بالنسبة لى ، ولأتباعى ، وأنا لا أريد أن يتم مشروع السدّ هذا ، وسأعمل على منعه ، بالرغم من معارضة حكومة (الجابون) ، وإذا ما أصرّت الحكومة على المضىّ فى المشروع ، على الرغم من كل ذلك ، فسأستحضر

كلّ قوى الشرّ فى الكون ، لتحيل المنطقة كلّها إلى أرض لعنة حقيقية .

ممدوح :

— وهل أحضرتنى إلى هنا لتبلغنى ذلك فحسب ؟

تشومبى :

— كلّا بالتأكيد ، ولكننى أردت منك أن تدرك خطورة الأمر ، قبل أن أكلّفك تنفيذ ما سأطلبه منك .. فلقد أرسلتك حكومتك إلى هنا لتعدّ تقريرك حول حقيقة ما يحدث فى (ماكوكو) ، وستكتب هذا التقرير أمامى الآن ، وستوضح فيه مدى المخاطر التى تحيط بالمكان ، والتى لن تجد لها تفسيرًا ، وستؤكّد أن حياة مواطنيك فى خطر داهم ، لو استمرّ تنفيذ المشروع ، وأريد منك أن تكتب كل هذا بأسلوب واضح ، وتمهره بتوقيعك .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا فى سخرية :

— وبعدها ترسل التقرير نيابة عنى ، مصحوبًا بجثتى .. أليس كذلك ؟.. إن هذا يضمن أن يُحدث التقرير أبلغ الأثر فى نفوس مسئولى الدولتين ، ويمتنعان عن المضى فى المشروع ، بعد أن تعترض حكومتاهما ، ومجلساهما النيابيّان ، وفى نفس الوقت

تكون قد تخلصت من الشاهد الوحيد ، الذى أطلعته على سرك ، وهو أنا ، وتضمن بذلك أنه لن يبوح أبدًا بما لديه ، ولن يمكنه إثبات أن (تشومبى) الفيلسوف المفكر ، والساحر العملاق ، والأب الكبير ليس سوى دجّال ، يستخدم حيلًا شريرة لبث الرُّعب فى القلوب ، وليضمن السيطرة على البسطاء من أهل (الجابون) ، وتحقيق مآربه وأهدافه الخاصة .. كلا أيها الدَّجال .. هذا لن يكون .

رمقه (تشومبى) بنظرة ثاقبة من عينيه الجاحظتين ، وقال :

ــ ألم أقل لك إنك شابٌ ذكيٌّ ؟.. ومع ذلك فلا فائدة لذكائك ، أمام قوّتى العاتية .

وصفّق بكفيه ، دون أن يرفع عينيه عن عينى (ممدوح) ، وهو يستطرد :

ــ وستكتب التقرير الذى طلبته منك الآن ، وستمهره بتوقيعك .

أحضر أحد الزنوج رزمة من الورق ، وقلمًا ، ووضعها أمام (ممدوح) ، وانصرف ، فى حين عقد (تشومبى) ساعديه أمام صدره ، وركّز نظراته الحادة الثاقبة على عينى (ممدوح) ، مردفًا :

ــ هيا أيها المقدّم .. إننى أنتظر تقريرك .

التقط (ممدوح) القلم فى دهشة ؛ فهو قلمه الخاصّ ، الذى كان يحمله فى أثناء مطاردته للرجلين ، ولقد كشف أنهم قد جرّدوه من كل ما كان يحمله ، حتى حزامه الخاص ، المجهّز بأسلحة خفية لمواجهة المخاطر ، عندما استردّ وعيه ، ولكن هذا القلم أيضًا من أسلحته السرّيّة ، فهو مزوّد بأنبوبين خاصين : أحدهما يحركه زرٌّ أزرق ، ويستخدم فى الكتابة العاديّة ، والآخر يحركه لولب أحمر ، ما إن يضغطها حتى تنطلق كالرصاصة ، حاملةً إبرة مخدِّرة سريعة المفعول ..

إن من أرسل إليه هذا القلم قد فحصه أوّلًا ولا شك ، وأدرك سرّه ، وأراد معاونته بإرساله إليه ، ولكن من هو هذا الشخص ؟

لم يحاول (ممدوح) أن يجهد عقله بمعرفة الرجل ، الذى أرسل إليه القلم الخاصّ ، وإنما حصر تفكيره فى كيفية استخدامه الأمثل ، فى ظل هذه الظروف ..

كان أمامه كائنان ، يتطلّعان إليه شذرًا ، وكلاهما لا يقلّ خطورة عن الآخر .. الفهد الأسود ، والعملاق الأسود (تشومبى) ، وقرّر (ممدوح) أن يتخلّص من الفهد أوّلًا ، حتى يمكنه مواجهة الشيطان وحده ..

وبالفعل أمسك (ممدوح) القلم ، وتظاهر بأنه سيكتب التقرير ، الذى طلبه (تشومبى) ، وصوّب فتحة القلم نحو الفهد ، ثم ضغط اللولب الأحمر ، واندفع الأنبوب من القلم كالقذيفة ، واستقرّت إبرته المخدّرة فى جسد الفهد ، الذى لم يكد يشعر بوخزتها حتى هبّ واقفًا ، وهو يزمجر فى غضب ووحشية ..

وهبّ (تشومبى) من مقعده منتفضًا ، وصاح فى غضب صارم ، وهو يتطلّع إلى الإبرة المخدّرة ، التى انغرزت فى جسد فهده :

ــ ما الذى فعلته بفهدى أيها الحقير ؟

أجابه (ممدوح) متهكّمًا :

ــ لقد أزحته عن طريقنا فحسب ، لأفسح المجال لمناقشة شخصية بيننا .

صاح (تشومبى) فى حدّة وغضب :

ــ سأجعله يمزّقك إربًا ، جزاء مناورتك السخيفة .

ثم استدار إلى الفهد ، صائحًا :

ــ اقتله يا (تومبا) .

تحفّز الفهد لتنفيذ أوامر سيّده ، وعقد (ممدوح) حاجبيه فى قلق ، داعيًا الله (سبحانه وتعالى) أن يأتى المخدّر بمفعوله سريعًا ، حتى لا يضطر للتصارع مع ذلك الوحش ..



وعقد (ممدوح) حاجبيه فى قلق ، داعيًا الله (سبحانه وتعالى) أن يأتى المخدّر بمفعوله سريعًا ، حتى لا يضطر للتصارع مع ذلك الوحش ..

وفجأة تمايل الفهد ، وترنّح ، وقد سرى الخدر فى جسده ، ثم خرّ فجأة فاقد الوعى ، فتنفس (ممدوح) الصُّعَداء ، وتحوّل إلى (تشومبى) قائلا :

ـ الآن يمكننا تصفية حساباتنا فى هدوء ، دون حارسك الخاص .

انتزع (تشومبى) ، فى حركة سريعة ، حربتين معلّقتين فوق الجدار الصخرى المجاور ، وتألّقت عيناه ببريق مخيف ، وهو يصوّبهما نحو (ممدوح) ، قائلا بصوته الأجش الصارم العميق :

ـ حسنًا أيها المقدّم ، سنصفّى حساباتنا معًا ، مادمت تريد ذلك .

وأخذ يتلاعب بالحربتين فى سرعة مذهلة ، وبراعة خرافية ، وهو يتقدّم نحو (ممدوح) ، مُستطردًا فى شراسة غاضبة :

ـ ولْتعلمْ أنه ما من أحد يمكنه أنْ يهزم (تشومبى) !! لا أحد !!

* * *

٨ ـ صراع ضد الشيطان ..

كان (ممدوح) مجرّدًا من أى سلاح ، فى مواجهة خصم يجيد استخدام أسلحته فى براعة مذهلة ، ويعرف متى وكيف وأين يسدّد طعناته القاتلة ، ولم يكن أمام (ممدوح) سوى استخدام أسلحته الطبيعية .. قبضتيه وقدميه ، ومهارته فى فنون القتال اليدوىّ ..

وكان عليه أوّلا أن يقلّل من سرعة خصمه وتحكّمه فى أسلحته ، فتجاهل الحراب ذات الأطراف الحادّة المدبّبة ، واندفع كالصّاعقة ؛ ليهْوى على ساق (تشومبى) بضربْة قويّة ، أصابت هذا الأخير بآلام مبرّحة ، وحقّقت الهدف منها ؛ فقد طغى إحساس (تشومبى) بالألم على سرعته ومهارته ، إذ توقّف عن التلاعب بالحربتين لحظة ، وهو يضغط أسنانه فى ألم ، وكانت هذه اللحظة تكفى (ممدوح) ، فقفز فى الهواء ، ورفع قدميه لينتزع إحدى الحربتين بهما من يد (تشومبى) ، ثم دار حول جسده فى دورة عكسيّة سريعة ، وقد انتقلت الحربة إلى

قبضته ، مطبقًا ما تعلّمه من مدرّبه الكورى ، وقال لـ(تشومبى) فى صرامة :

ـ الآن يصبح قتالنا متعادلاً أيها الدجّال .

استردّ (تشومبى) جأشه سريعًا ، على الرغم من ذهوله من براعة خصمه ، ولوّح بحربته فى الهواء ، وهو يقول فى شراسة :

ـ مخطئ أنت لو تصوّرت أنه من الممكن أن تتعادل مع (تشومبى) أيها المغرور .

خيّل لـ(ممدوح) أن عينى (تشومبى) تزدادان جحوظًا ، وتشعّان ببريق مخيف ، وسمعه يقول فى صوت أقرب إلى الفحيح :

ـ حسنًا أيها المغرور ، دعنى أعلّمك شيئًا لم تر مثله من قبل .. إنك ستترك تلك الحربة الآن ، وستفعل ذلك دون مقاومة ، وتتركها تسقط أرضًا ؛ لأنك عاجز عن استخدامها .

شعر (ممدوح) بذراعه تتصلّب ، كما لو أصابها شلل ، ثم لم يلبث هذا الشلل أن امتدّ إلى نصفه الأيمن كله حتى ساقه ، وتصبّب منه العرق غزيرًا ، على الرغم من القشعريرة التى انتابت ذراعه ، وبدا له وكأن قوى خفيّة تجبره على فتح أصابع يده العاجزة ، لتسقط منها الحربة إلى الأرض ..

وأطلق (تشومبى) ضحكة هستيريّة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أنت عاجز .. ضعيف .. لا قدرة لك على القتال .. ومصيرك الحتمى هو الموت .. الموت ..

كان (ممدوح) لا يزال واعيًا لما يحدث حوله ، على الرغم من عجزه عن الحركة ، ولقد أدرك أنه واقع تحت تأثير مغناطيسى غامض ، ينبعث من عينى ذلك الشيطان ، فحرّك قدمه اليسرى فى بطء ، واطمأنّ إلى أنها تتحرّك ، فقد كان هذا يعنى أن (تشومبى) لم ينجح إلا فى السيطرة على نصفه الأيمن فقط ، دون الأيسر ، ورآه يتقدّم نحوه بحربته المدبّبة ، وعيناه تحاصرانه بإشعاعهما المغناطيسى ، ويرفع حربته ليطعنه بها منهيًا حياته ..

وفى لمح البصر ركل (ممدوح) المحرقة ، القائمة بينه وبين غريمه ، بقدمه اليسرى ، فانبعث منها دُخان كثيف فى وجه (تشومبى) ، وتطايرت جمراتها الصغيرة المشتعلة لتصيب وجه (تشومبى) وجسده ، فأطلق صرخة مُدوّية ، وهو يتراجع مغلقًا عينيه ، مما أزال سيطرته على (ممدوح) ، فاستردّ قدرته على الحركة ، ولكن الصرخة التى أطلقها (تشومبى) نبّهت أعوانه ، فاندفع ثلاثة منهم إلى الحجرة ، مدجّجين بأسلحتهم ، وما أن رأوا ما أصاب زعيمهم حتى شهروا مدافعهم الرشاشة فى

وجه (ممدوح) ، الذى فوجئ باقتحامهم المكان ، ولم يجد أمامه وسيلة للفرار .. وأدرك أنها النهاية ..

نهاية عملية (اللعنة السَّوْداء) ..

* * *

فجأة تبدلت كل الأمور دفعة واحدة ؛ فقد هوى اثنان من الزنوج الثلاثة صرْعى ، وقد استقرّت فى ظهر كل منهما حربة قويّة ، وظهر خلفهما (هوجو) ، والفتاة الزنجية التى قدّمت الطعام لـ (ممدوح) فى سجنه ، وتحوّل الزنجى الثالث إليهما فى ذهول ، ثم لم يلبث ذهوله أن تحوّل إلى غضب جامح ، وهو يصوّب إليهما فوّهة مدفعه الرشّاش ..

وقبل أن يطلق الزنجى رصاصة واحدة التقط (ممدوح) الحربة ، التى أسقطها من قبل ، وطعنه بها فى عنقه بقوة ، فنفذت منه إلى الجانب الآخر ، وهوى الرجل صريعًا ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه (تشومبى) نحو (ممدوح) ، وهو يصرخ فى وحشية ، فتفاداه (ممدوح) فى سرعة ، وهوى على فكه بلكمة قوية ألقته أرضًا ، وحاول أن يعقبها بأخرى ، إلّا أن (هوجو) صاح به قائلًا :

ـــ لا وقت لذلك .. هيَّا بنا قبل أن يصل الآخرون .

تخلّى (ممدوح) عن (تشومبى) ، وهو يقول :

ـــ سنلتقى مرّة أخرى أيها الدجّال .

ولم ينس وهو يغادر المكان أن يلتقط أحد المدافع الرشّاشة ، التى سقطت من رجال (تشومبى) ، وانطلق فى أثر (هوجو) والفتاة ، وهو يسألهما فى حيْرة :

ـــ فى أى جانب أنتما ؟

أجابه (هوجو) :

ـــ دعنا نغادر كهف الشيطان هذا أوّلًا ، ثم اطرح ما يحلو لك من أسئلة بعد ذلك .

كانوا يَعْدُون نحوَ الباب الخارجى للكهف ، حينما اعترض طريقهم فجأة خمسة زنوج مسلحون ، وأطلقوا نحوهم سيلًا من الرصاصات ، أصابت إحداها كتف (هوجو) ، فى حين مرقت الأخرى بين شعر (ممدوح) ، وصرخت الفتاة على مرأى الدم الذى سال من جرح (هوجو) :

ـــ أبى .. أبى .

جذبهما (ممدوح) خلف حاجز صخرى كبير ، ليحتموا به جميعًا ، ثم تبادل إطلاق النار مع مهاجميه ، ونجح فى أن يحصد ثلاثة منهم ، قبل أن يفرغ مدفعه الرشّاش ، من الطلقات ،

ويجد نفسه عاجزًا عن التصرُّف ، فانتزع (هوجو) سكينًا كبيرًا ، كان يخفيه برباط حول ساقه ، وقدَّمه إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ هل يمكنك أن تستفيد بذلك ؟

تطلَّع (ممدوح) إلى السكِّين ، وهمس فى تفكير :

ــ المنطق يقول إنه لن يفيد إزاء رجلين مسلحين بالمدافع الآلية ، ولكن لو استخدمناه بذكاء فقد ..

بتر عبارته ، وهو يستغرق فى التفكير مرَّة أخرى ، ثم تناول السكِّين من (هوجو) ، ودسَّه فى حزامه ، وأسدل عليه قميصه ، ثم أمسك مدفعه الرشَّاش بكلتا قبضتيه ، ورفعه عاليًا من خلف الجدار الصخرىّ ، معلنًا استسلامه للرجلَيْن ..

* * *



٩ ــ رحلة الأسرى ..

اقترب الزنجيان من مكمن (ممدوح) و (هوجو) وابنته فى حذر ، وقال أحدهما فى صرامة :

ــ ألق مدفعك أرضًا أيها الأبيض ، واخرجوا جميعًا رافعين أيديكم إلى أعلى .

ألقى (ممدوح) مدفعه أرضًا ، وتقدَّم رافعًا يديه فوق رأسه ، يتبعه (هوجو) وابنته ، ولم يستطع (هوجو) الاحتفاظ بيده عاليًا بسبب كتفه المصابة ، فخفضها قائلًا :

ــ لا يمكننى أن أواصل هذا الوضع ، فكتفى تؤلمنى .

صرخ (ممدوح) فجأة :

ــ كلَّا يا (هوجو) .. لا تحاول استخدام مسدسك .. لن يجدى هذا .

تطلَّع إليه (هوجو) فى دهشة ، فى حين قال أحد الرجلين فى صوت آمر :

ــ احتفظ بيديك أعلى رأسك ، وإلا أطحت رأسك بالرَّصاص .

ثم التفت إلى زميله ، قائلًا :

ــ فتشه جيدًا .

تقدّم الرجل نحو (هوجو) حاملًا سلاحه ، فى حين وقف زميله يراقبه فى حذر ، وقدّر (ممدوح) المسافة بينه وبين (هوجو) بنصف المتر ، وانتظر اللحظة التى انحنى فيها المسلّح ليفتش جيوب (هوجو) ، وانقضّ عليه كالبرق ، ولفّ ساعده حول عنقه ، واستلّ سكينه ليطعن به الزنجى طعنة نجلاء ، وهو يتخذه درعًا يقيه رصاصات زميله ، ثم أدار مدفع الزنجى القتيل نحو زميله ، وضغط زناده ، فانطلقت رصاصاته تحصد الزنجى الآخر ، ثم تخلّص من الرجل الأوّل ، وهو يقول لـ (هوجو) :

ــ لقد تغلّبت الخدعة على المنطق .. هيّا بنا .

أسرعت ابنة (هوجو) تحرّك ذراعًا معدنية بجوار الباب ، الذى انفتح فى بطء ، فاندفع الثلاثة خارجًا ، مقتحمين مياه الشلّال ، وتعاون (هوجو) والفتاة على نقل الأخير عبر بحيرة المياه الراكدة ، وما أن وصلوا إلى الجانب الآخر حتى أرقد (ممدوح) (هوجو) فوق العشب الأخضر ، ليستريح قليلًا من عناء السّباحة ، ولكن (هوجو) قال فى ضعف :

ــ سامحنى أيها الصّديق ، لقد اضطررت للتعاون مع



ثم أدار مدفع الزنجى القتيل نحو زميله ، وضغط زناده فانطلقت رصاصاته تحصد الزنجى الآخر ..

(تشومبى) ، بعد أن نقل له أحد جواسيسه ذلك الحديث ، الذى دار بيننا فى منطقة البناء ، فاختطف ابنتى ، واتخذها رهينة كى أخضع لرغباته ، ثم أمرنى بوضع عدد من الدُمَى المسحورة داخل حجرتك ، وعندما فاجأتنى اضطُرِرْت لمهاجمتك ؛ لأنَّ فشلى فى مهمتى كان يعنى القضاء على ابنتى الوحيدة ، ولكنهم بعد أن أحضروك إلى كهف الشيطان ، قررْت أن أتعاون مع ابنتى لإنقاذك ، ومساعدتك على الفرار .

ممدوح :

ـ لا تجهد نفسك بالحديث ، لقد نزفت الكثير من دمائك .. دعنا نأمل أن ننجح فى الوصول إلى الوحدة الطبِّية بسدِّ (كاتون) ، قبل أن يلحقوا بنا .

تحامل (هوجو) لينهض ، ولكنهم ما أن خطَوْا بضع خطوات ، حتى وجدوا أنفسهم محاطين بعشرات من رجال القبائل ، الذين انقضُّوا عليهم من بين الأشجار ، ومن فوقها ، ليحيطوا بهم شبه عراة ، وفى أيديهم النبال والرماح ، والتصقت الفتاة بأبيها ، وهى ترتجف رُعْبًا ، فى حين أخذ أحد رجال القبائل يصرخ بكلمات مبهمة ، ترجمها (هوجو) لـ(ممدوح) ، قائلًا :

ـ إنهم يريدون منَّا أن نسير معهم .

تطلَّع (ممدوح) إلى عشرات السِّهام والحِراب المصوَّبة إليهم ، وقال :

ـ يبدو أنه لا مناص من الاستسلام هذه المرَّة ، فالكثرة تغلب الشجاعة .

سار الثلاثة وسط رجال القبائل البدائية ، مخترقين الأدغال الكثيفة ، التى تبدو الأشجار المتشابكة فيها كمظلة واقية ، تحجب أشعة الشمس ، وقطع الجمع مسافة غير قصيرة سيرًا على الأقدام ، وبذل (ممدوح) جهدًا مضاعفًا للعناية بـ(هوجو) ، الذى كان فى حالة شديدة من الإعياء ..

وفجأة وثب فهد إفريقى مرقَّط من فوق أحد الأشجار ، لينقضّ على أحد رجال القبيلة ، لينشب فيه مخالبه ، وعمّ الذُعر بين رجال القبيلة ، وساد بينهم الهرج والمرج ، وهو يطلقون رماحهم وأسهمهم نحو الفهد ، الذى بدا متشبثًا بفريسته حتى الموت ، وانتهز (ممدوح) الفرصة ليتعلَّق بأحد الأغصان ، ويختفى وسط الأشجار المتشابكة ، تتبعه عشرات السِّهام والرماح ، وصرخات الغضب والسخط من أفراد القبيلة ..

واستغلَّ (ممدوح) براعته كلاعب جهاز سابق ، ولياقته

العالية للقفز من شجرة إلى أخرى ، حتى اختفى عن الأنظار تمامًا ، ومن موقعه الجديد راقب رجال القبيلة وهم يواصلون بحثهم عنه ، حتى استبدّ بهم اليأس ، فواصلوا سيرهم مكتفين بالأسيرين الآخرين .. وما أن ابتعدوا عن المكان حتى عاد إليه (ممدوح) ، والتقط أسلحة الرجل الذى صرعه الفهد قبل موته ، وعاد يتنقّل بين الأشجار متواريًا بأغصانها ، متابعًا مسيرة القبيلة ، التى استقرّ بها المقام أخيرًا فى منطقة عشبية منبسطة ، تتناثر فيها أكواخ القبيلة ، ويتوسّطها وثن صخرى ذو ملامح مخيفة ..

واستقبل عجائز القرية ونساؤها وأطفالها العائدين فى ترحاب ، وهم يحومون حول الأسيرين فى سعادة بالغة ، كما لو كانوا قد ظفِرُوا بوليمة عظيمة ، ثم اقتيد الأسيران إلى أحد الأكواخ ، وساد الهدوء فترة ، وخلت الساحة إلا من حرّاس المكان ..

وشعر (ممدوح) بحاجته الشديدة إلى النوم ، بعد ذلك الجهد المضنى الذى بذله ، فأسند رأسه إلى جذع الشجرة ، التى يكمن فوقها ، واستسلم للنوم ..

ولم يكد الليل يرخى سدوله ، حتى هبّ (ممدوح) مستيقظًا فجأة ، على صوت ضجة عالية ، بدّدت سكون الليل ، ومن مكمنه رأى (ممدوح) (هوجو) وابنته ، وقد قُيّد كل منهما إلى جذع شجرة ، فى مواجهة الوثن الصخرى ، وتحيط بهما حفرة من النيران واللهب ، وحولهم أفراد القبيلة يرقصون على إيقاع الطبول ..

كانا الضحية الجديدة للصنم الصامت المخيف ..

* * *



١٠ ــ الأفيال الثائرة ..

ظلّ أفراد القبيلة يرقصون فى هستيريا ، وقد تعالت دقات الطبول ، لفترة طويلة ، ثم لم يلبث أن خرج من أحد الأكواخ عملاق أسود ، يملأ وجهه بأصباغ صارخة الألوان ، تزيده بشاعة ، وقد التف حول عنقه عدد من العقود ، التى تحمل أنياب الحيوانات ، وقد أحاط خصره بفراء نمر ، وأمسك فى يده عصا غليظة ، تعلوها جمجمة بشرية ، وأخذ يصرخ ويصيح بكلمات غريبة ، وهو يشير إلى الأسيرَيْن بعصاه ، ومع إشاراته تتعالى صيحات أفراد القبيلة الهستيرية ، وتمعّن (ممدوح) فى وجه الرجل ، ليتبين أنه (تشومبى) ..

والتف أفراد القبيلة حول (تشومبى) ، يتبعون إشاراته فى خضوع وتقديس ، مما أثار دهشة (ممدوح) من هذا الرجل ، الذى يبدو أحيانًا فى صورة فيلسوف حكيم ، وأحيانًا أخرى فى صورة زعيم مُشعْوذ ، يتخذ من أحد الكهوف ملاذًا ومخبأً له ، ومرة ثالثة يتقمّص صورة ساحر بدائى ، تخضع له القبائل إلى حد

التقديس .. ومن العجيب أنه يعرف كيف يؤثر فيمن حوله ، فى كافة صوره وأحواله ، وهاهوذا يسعى لاستغلال معتقدات أولئك البدائيين ؛ للتخلُّص من خصومه ، عَبْرَ بعض الطقوس الهمجية ..

وسمع (ممدوح) صوتًا عجيبًا يأتى من خلفه ، فأسرع يتنقّل بين الأشجار ، ليجد أسفلها قطيعًا من الأفيال ، يتجه بخطوات ثقيلة إلى الأرض العشبيّة ، التى تحيط بأكواخ القبيلة ، وهنا هداه تفكيره إلى استغلال هذا القطيع لإنقاذ (هوجو) وابنته ، فأسرع يقلب ياقة قميصه ، ويخرج منها سلكًا رفيعًا ، محاطًا بطبقة فوسفورية ، ومزّق جزءًا من قميصه ، وربطه فى عناية حول رأس أحد الأسهم ، ثم حكّ طرف السلك الفوسفورى بجذع الشجرة ، ليحدث شرارة ، قرّب منها السّهم ، فاشتعلت النيران فى قطعة القميص الملتفّة حولها ، ثم وضع السهم فى وتر القوس ، وأطلقه ليستقرّ وسط قطيع الأفيال ، فاشتعلت النيران فى الأعشاب الجافّة ، وامتدّت بسرعة ، مما أثار فزع قطيع الأفيال ، فاندفعت تعدو فى سرعة ، محاولة الهروب من اللهب ، فى نفس اللحظة التى كان (تشومبى) يصدر أوامره فيها لإشعال النيران فى الأسيرين ،

وتقدَّم رجال القبيلة إلى حفرة اللهب ، ليشعل كل منهم منها مِشْعَله ، ثم يقذفه نحو جذْعي الشجرتين ، اللتين أوثق إليهما (هوجو) وابنته ، لتشتعل فيهما النيران ، وتزحف نحو جسديهما ، فى حين ارتفعت صيحات أفراد القبيلة وصرخاتهم ..

وفجأة اقتحم فريق الأفيال الثائرة المكان ، وحطمت أكواخ القبيلة فى اندفاعها ، ودهست أفراد القبيلة تحت أقدامها الضخمة ، وانتشر الرُّعب والفزع ، وتوقَّف الجميع عن ممارسة طقوسهم الهمجية ، وهم يتدافعون ويتصارعون للفرار بأرواحهم .. وتردَّد (تشومبى) لحظة ، ثم انطلق يحاول الفرار بدوره .

وانتهز (ممدوح) حالة الرعب والفوضى ، التى سادت المكان ، ليثب من فوق الشجرة ، ويعدو سريعًا نحو أرض القبيلة ، والتقط خنجر أحد الأفراد القتلى ، وقفز قفزة هائلة ، متخطيًا حاجز النيران المحيط بالأسيرين ، ثم أخذ يمزِّق قيود (هوجو) وابنته ، ونجح فى تحريرهما قبل أن تصل إليهما ألسنة النيران ، وهو يهتف فى ارتياح :

ـــ حمدًا لله .. لقد وصلت فى الوقت المناسب .

كان (هوجو) فى حالة بالغة من الإعياء ، إذ كان جرحه يواصل نزفه ، وقد تلوَّث على نحو بشع ، وما أن حرَّره (ممدوح) حتى تهاوى فاقد الوعى ، فركعت ابنته إلى جواره ، وهى تهتف فى جزع :

ـــ أبى !! أبى !!

حاول (ممدوح) أن يَبُثَّ فيها الأمل ، قائلًا :

ـــ تشجعى .. سننجح فى إنقاذه .

كانت النيران قد أتت على جذع الشجرة من أسفل ، فتهاوت أرضًا ، ونجح (ممدوح) فى زحزحتها ، ليصنع منها معبرًا فوق حفرة النيران ، وساعد الفتاة وأباها على العبور إلى الجهة الأخرى بصعوبة بالغة ، حيث كانت الأفيال قد غادرت المكان ، بعد أن خرَّبته تمامًا ، وتهاوى (هوجو) مرَّة أخرى ، فأمسك (ممدوح) بذراعه ؛ ليعاونه على النهوض ، إلا أن (هوجو) قال فى ضعف :

ـــ إننى أشعر بالموت يقترب منّى .. لا ترهق نفسك بتحمُّل عبء معاونتى .. اهتم بابنتى ، واتركنى هنا .

حاول (ممدوح) أن يمنعه من الاستمرار فى الحديث ، قائلًا :

ـــ لا تقل هذا .. إنك ستشفى و ....

قاطعه (هوجو) قائلًا :

ـــ لا وقت للكلام .. أنت تعلم مثلى أنه لم يعد هناك أمل .. أوصيك برعاية ابنتى من بعدى ، فلم يعد لها أحد بعد موتى ، وعِدنى بالانتقام من (تشومبى) .. عِدنى بذلك .

ظهرت علامات التأثر على وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ أعِدك يا (هوجو) .

أغلق (هوجو) عينيه فى ارتياح ، وهو يقول :

ـــ شكرًا لك .

ثم ارتخت يداه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، فألقت ابنته رأسها على صدره ، وهى تبكى وتنتحب ، فى حين انهمك (ممدوح) فى حفر قبر له ، وبينما كان يفعل رأى أحد رجال القبيلة ، وهو يندفع نحو الفتاة ، محاولًا طعنها بحربته ، فأسرع يطلق عليه أحد السّهام ، ويرديه قتيلًا ، ثم استأنف الحفر ، حتى دفن (هوجو) ، وقال لابنته :

ـــ لقد كان أبوك رجلًا شجاعًا ، تصدّى لرجل يخشاه الكثيرون ، وعليك أن تتخذى شجاعته مِثالًا لك ، وتتغلّبى على أحزانك و ..

بتر عبارته فجأة ، حينما سمع صوت أزيز فى السّماء ، فتطلّع إلى أعلى ، ورأى من بين الأغصان طائرة هليوكوبتر تحلّق فوق المكان ..

وخفق قلبه بشعور غامض بالقلق ..

* * *





١١ ـ عيون شريرة ..

جذب (ممدوح) الفتاة ليتوارى معها داخل أحد الأكواخ ، التى نجت من ثورة الأفيال ، فى حين واصلت الهليوكوبتر تحليقها حول المكان لمدة دقيقة ، ثم ابتعدت حتى اختفت خلف الأشجار ، وهنا اندفع (ممدوح) والفتاة يعدوان نحو الأشجار ، و (ممدوح) يسألها :

ـ هل تعرفين الطريق إلى سدّ (كاتون) ؟

أجابته الفتاة :

ـ نعم .

ممدوح :

ـ اذهبى إلى هناك إذن ، وسألحق بك .

الفتاة :

ـ أين ستذهب ؟

لم يصل سؤالها إليه ، إذ كان قد ابتعد كثيرًا ، وتسلّق إحدى الأشجار ، وقفز منها إلى أخرى فأخرى ، وهو يتتبّع أزيز

وهنا اندفع (ممدوح) والفتاة يعدوان نحو الأشجار ، و (ممدوح) يسألها :
ـ هل تعرفين الطريق إلى سدّ (كاتون) ؟

الهليوكوبتر ، حتى توقف أزيزها ، فعلم أنها قد هبطت فى موقع
قريب ، وواصل قفزه من شجرة إلى أخرى ، حتى لاحت له
الهليوكوبتر رابضة فى منطقة ترابية جرداء ، تحيط بها مجموعة من
الشجيرات الصغيرة ، فقفز إلى الأرض ، وزحف بين
الأعشاب ، حتى استقرّ به المقام خلف مجموعة من الشجيرات
الصغيرة ، وأتاح له موقعه مراقبة الهليوكوبتر عن كثب ، ورأى
رجلاً أبيض يقف إلى جوارها حاملاً مدفعًا رشاشًا ، وقد بدا
واضحًا أنه لاينتمى إلى شعب (الجابون) ، ثم فوجئ
بـ(تشومبى) يأتى من خلف الهليوكوبتر بجسده العملاق ،
وبشرته التى تلطخها الأصباغ ، وبصحبته رجل أبيض آخر ،
مسلّح بمدفع رشاش من الطراز نفسه ، وبدا (تشومبى) وكأنه
يتوسّل للرجل الآخر ، فأرهف (ممدوح) سمعه ، ليسمعه يقول
للرجل ، الذى بدت ملامحه جامدة صارمة :

ـــ لقد فعلت كل ما بوسعى ، ولم أتهاون أبدًا فى خدمتكم .

أجابه الرجل فى جفاء ، وهو يثبّت منظاره الطبى فوق أنفه :

ـــ لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء ، منذ وصل ذلك
المقدّم المصرى إلى (الجابون) يا (تشومبى) .

تشومبى :

ـــ لقد حاولت أن أحصل منه على تقرير يؤيّد خطورة
استمرار المصريين فى العمل بالسدّ .

قال الرجل فى غضب :

ـــ هذا صحيح ، ولكنه نجح فى الهرب ، دون أن يكتب
حرفًا واحدًا فى التقرير .. أليس كذلك ؟.. لقد حذرتك من
قبل ، وأخبرتك كيف يشكّل هذا الرجل خطورة بالغة ،
وطلبت منك أن تتخلّص منه فور وقوعه بين يديك ، ولكنك
تركته يُفلت ، بل تركته يطّلع على حقيقة الدّور الذى تؤديه ،
وهذا يعنى أنك أصبحت مهدّدًا بالوقوع فى أيدى السلطات فى
أية لحظة ، وكشف أمرنا ، وأمر الدور الذى تلعبه لحسابنا ،
وهذا يهدّد دولتنا بفضيحة فى (إفريقيا) ، بل فى المجتمع الدولى
بأسره .. إن اسم (ممدوح عبد الوهاب) فى أية عملية ، يعنى
الفشل لنا دائمًا .

قال (تشومبى) ، وهو يحاول أن يبدو ثابتًا :

ـــ الوقت لم يفت بعد ، فهو لم يغادر (ماكوكو) بعد ،
وأعدك ألاّ يغادر هذه الأدغال حيًا .

قال الرجل فى سخرية :

ـــ بل فات الوقت يا (تشومبى) .. إننا لانتهاون مع

الخطأ ، مهما بلغ صغره ، فعملنا يتميّز دومًا بالدقّة والسرّية البالغة ، وهذا لا ينطبق عليك .

ثم صوّب إليه فوّهة مدفعه الرشاش ، ولكن (تشومبى) حدجه بنظرة حادّة ، وهو يتطلّع إليه فى ثبات ، فاهتزّت البندقية فى يد الرجل ، وارتعشت أصابعه ، وانهمر من وجهه العرق غزيرًا ، ولكن زميله انتبه إلى ما يحدث ، فألصق فوّهة مسدّسه بمؤخرة رأس (تشومبى) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اغمض عينيك أيها القرْد الأحمق ، فأنت تعلم أن ألعابك لن تجدى معنا ، وما دمت لا تجرؤ على مواجهة الموت من الأمام ، فسأسكنُ رصاصتى فى مؤخرة رأسك .

أغمض (تشومبى) عينيه ، وهو يقول :

ــ هل تظنّان أن قتلى سيمنع كشف المؤامرة ؟.. لقد أطلعْت أعوانى على جميع الأسرار والتفاصيل ، وهم يعرفون جيّدًا دوْرهم ، إذا ما قتلتمانى .. إنهم سيكشفون للعالم كله لعبَتنا المشتركة ، فلقد كنت أتوقّع موقفكما هذا ، واتخذت احتياطاتى الكاملة .

استردّ الرجل ذو المنظار سيطرته على نفسه ، وهدأت ارتعاشته ، وصاح فى غضب ، وهو يضع سبّابته على زناد مدفعه الرشّاش :

ــ لا تستمع إلى هذا القرْد ، إنه يحاول كسْب المزيد من الوقت .

نهره الآخر ، قائلًا :

ــ تمالك نفسك يا (ليفان) .. ربّما كان صادقًا .. يجب أن تعلم أننا مطالبان بمحو آثار هذه العملية تمامًا .

كان (ممدوح) يراقب ما يحدث من وراء الشجيرات القصيرة ، حينما سمع صوتًا من خلفه يقول :

ــ ما الذى تفعله هنا أيها الفأر ؟.. ألا تعلم أن التلصّص على الآخرين قد يكلّفك حياتك ؟

استدار (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، وهو يرقد أرضًا ، فوجد خلفه رجلًا متوسط القامة ، أبيض البشرة ، له شارب قصير ، يصوّب إليه مسدّسه ، مُستطردًا :

ــ انهض ، وتقدّمنى رافعًا ذراعيك .

أطاعه (ممدوح) فى استسلام ، ، وتقدّم رافعًا ذراعيه ، ومسدّس الرجل ملتصق بظهره ، وما أن رآه الرجلان الآخران حتى علت الدهشة وجهيهما ، فى حين قال لهما زميلهما :

ــ لقد وجدت هذا الوغد يتلصّص عليكم ، فى أثناء تأمينى المنطقة .

ابتسم الشخص ذو المنظار ، وقال وهو يثبت إطاره فوق أنفه :

ــ يالها من ضربة حظ موفّقة !! لقد عثرت على الرجل المنشود ، فهذا هو المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) ، رجل إدارة العمليات الخاصّة المصرية .

ابتسم (ممدوح) فى ثبات ، وهو يقول :

ــ يسعدنى أن أكون شهيرًا إلى هذا الحدّ ، على الرغم من أننا لم نتعارف من قبل .

انقلبت سحنة الرجل ، وهو يقول :

ــ ولكننى أعرفك جيّدًا أيها المقدّم ، فلدىَّ ملف كامل عنك فى مخابراتنا الاسترنانية .

وعلى الرغم من المفاجأة ، تظاهر (ممدوح) باللامبالاة ، وهو يقول :

ــ انقل تحياتى إلى مخابراتك الاسترنانية ، فهى تولينى عناية خاصة .

أجابه الرجل فى سخرية :

ــ بل سأنقل إليها جثتك أيها المُتَحَذْلِق .

لم يكد يتم عبارته حتى انطلق من خلف الشجيرات الصغيرة

سهم ، أصاب الرجل الذى يصوّب مسدّسه إلى ظهر (ممدوح) فتراخت أصابعه حول المسدّس ، قبل أن يخرّ صريعًا ..

ولم يضع (ممدوح) الفرصة ، وانتهز فرصة تحول انتباه الرجلين الآخرين إلى مصدر السَّهْم ، ليلتقط مسدّس القتيل فى سُرْعة ، ثم يقفز متدحرجًا على الأرض الترابية فى سرعة ، متفاديًا طلقات الرصاص التى أُطلقت نحوه ، ثم أطلق رصاصة محكمة ، استقرّت فى صدر الرجل ذى المنظار ، فأردته قتيلًا ..

واستغلّ (تشومبى) الموقف بدوره ، فاستلّ خنجره من غمده ، وطعن به الرجل الثالث فى ظهره طعنة نجلاء ، ثم استولى على مدفعه الرشاش ، وانطلق نحو الهليوكوبتر ، وحاول (ممدوح) أن يلحق به ، ولكن (تشومبى) عاجله بسيل من الرصاصات ، تفاداها (ممدوح) بالانبطاح أرضًا ، فارتسمت ابتسامة شيطانية على وجه (تشومبى) ، وهو يصوّب إليه مدفعه الرشاش ، قائلًا :

ــ سأسحقك هذه المرّة ، كما تُسحق الحشرة أيها المقدّم .. إنها نهايتك .

* * *

كادت أصابع (تشومبى) تضغط زناد مدفعه الرشاش ، ليسحق (ممدوح) حقًا ، لولا أن انطلق فجأة سهم آخر أصاب ذراعه ، فسقط مدفعه أرضًا ، ورأى ابنة (هوجو) تتقدَّم نحوه ، وهى تصوِّب إليه سهمًا آخر ، وتقول فى صرامة :

— السهم التالى سيستقر فى قلبك أيها القاتل الشرِّير ، سأنتقم لأبى ، ولكل من أصابهم شرُّك .

حدجها (تشومبى) بنظرته الحادَّة الثاقبة ، وهو يقول :

— لن يقتلنى أحدٌ أيها الفتاة .. لن ينطلق سهمك نحوى ؛ لأنك ستعجزين عن إطلاقه .. إنك ضعيفة !! ضعيفة !!

وأخذ يردِّد الكلمة الأخيرة عدة مرات بصوته العميق ، وهو يتقدَّم نحو الفتاة بخطوات بطيئة راسخة ، وتحيَّن (ممدوح) الفرصة ، فأخذ يزحف على الأرض الترابية فى هدوء وحذر ، متسلِّلًا أسفل مقدِّمة الهليوكوبتر ، ومستغلًّا تركيز (تشومبى) انتباهه على الفتاة ، على حين أخذت يد الفتاة ترتعش ، وتتراخى مع وتر القوس ..

وتراجع (تشومبى) فى بطء ، وظلَّ يحدج الفتاة بنظرته المغناطيسية ، وهو ينحنى فى بطء ، ليلتقط مدفعه الرشاش ، ولكن قبل أن يلتقطه ، قبضت قبضة قوية على معصمه ، وجذبته

أسفل الهليوكوبتر ، وقبل أن يستخدم تأثيره ، انهالت عليه لكمات (ممدوح) بلا رحمة ، فأطاحت بمقاومته ، وأفقدته وعيه تمامًا ..

وأسرعت الفتاة ، التى أفاقت من تأثيره المغناطيسى ، تلتقط قوسها وسهمها ، وتصوِّب السهم إلى قلبه ، فهتف بها (ممدوح) ، من خلال أنفاسه اللاهثة :

— كلَّا .. إن لدى هذا الرجل الكثير من الأسرار ، التى يريد الجميع معرفتها ، ولا نريد أن ندفنها معه .. دعى القانون يقول كلمته ، وأنا واثق أنه سينتقم لأبيك انتقامًا عادلًا .

انخرطت الفتاة فى بكاء حار ، وألقت بنفسها على صدر (ممدوح) ، وهى تقول :

— لم أستطع أن أطيع أوامرك .. لم أذهب إلى منطقة السدِّ .. لقد تملَّكتنى الرغبة فى الانتقام لوالدى ، فتبعتك للبحث عن (تشومبى) وقتله .

أحاط (ممدوح) كتفها فى حنان ، وهو يقول :

— كان ذلك من حسن حظى ، فلولا مجيئك فى هذه اللحظة بالذات ، لأغلقت المخابرات الأسترالية ملفى لديها إلى الأبد ، ولبقى (تشومبى) يمارس ألعابه السحرية فى (إفريقيا)

وأسرعت الفتاة ، التى أفاقت من تأثيره المغناطيسى ، تلتقط قوسها وسهمها ، وتصوِّب السهم إلى قلبه ..

كلها .. هيّا .. ساعدينى على شدّ وَثاقِه ، ولنضع رِباطًا محكَمًا فوق عينيه ، فالشرُّ كلُّه يكمُن فيهما .

ثم ابتسم مُستطرِدًا فى ارتياح :

— وليطمئن قلبك ، فقد انتهت لُعْبة (اللعنة السَّوْداء) إلى الأبد ..

* * *



١٢ ــ سرُّ السَّاحر . . .

جلس (ممدوح) يتناول كوبًا من الشاى ، برفقة السُّفير المصرى ، ومدير العلاقات العامة ، داخل سفارة (مصر) فى (ليبرڤيل) ، وهو يستعد للتوجُّه إلى المطار بعد ساعات ، لينطلق إلى (القاهرة) ، وقال له السفير مبتهجًا :

ــ لقد وصلتنى برقيه تهنئة لك من القاهرة ، وأعتقد أنك تستحقها تمامًا .

ممدوح :

ــ شكرًا يا سيادة السفير .

السفير المصرى :

ــ هناك أيضًا تعليمات من وزارة الخارجية ، بضرورة حصولى منك على تفاصيل عملية (اللعنة السوداء) الكاملة ، قبل المؤتمر الصحفى الذى سأعقده برفقة وزير خارجية (الجابون) فى هذا الشأن غدًا .

ممدوح :

ــ لقد ذكرت جميع التفاصيل فى تقرير من نسختين ، سأسلِّم إحداهما إلى رئيسى غدًا فى الإدارة ، وسأترك لسيادتك الثانية ، أما إذا أردت منى أن ألخص لك الأمر بصفة عامة ، فهو يتلخَّص فى أن دولة (استرتان) المعادية ، أرادت إسناد مشروع سدّ (كاتون) إلى حكومتها ، وإبعاد الحكومة المصرية عن الاسهام فى بناء هذا الصرح الضخم ، وهى تهدف من وراء ذلك إلى تحقيق عدة أهداف :

أوَّلًا : هدف سياسى ، يتمثَّل فى التسلَّل إلى القارة الإفريقية ، والسيطرة على مشاريعها القوية ، بدءًا بسد (كاتون) ، وتقليص دور (مصر) بالتالى فى (الجابون) ..

ثانيًا : هدف اقتصادى ، يتمثَّل فى التنقيب عن الذهب ، الذى قيل إنه يتوافر بكميات ضخمة ، فى كهوف المنطقة ، التى سيقام فيها المشروع ، وتهريبه إلى (أسترتان) .

ثالثًا : هدف سرِّى ، ويتمثَّل فى تجنيد عدد من العملاء والجواسيس ، من رجال (أسترتان) ، ضمن العاملين فى السدّ ، وبذلك تكون (الجابون) هى قاعدة التجسس على القارة الإفريقية .

ولكن حكومة (الجابون) أطاحت بكل هذا ، عندما أسندت مشروع السدّ إلى الخبراء المصريين ، مما دعا مخابرات (أسترتان) إلى الاستعانة بعميلها (تشومبى) ذى النفوذ والقدرة على التأثير ، بفضل شهرته كساحر له قدرات خارقة ..

ولقد كان (تشومبى) عميلاً للمخابرات الأسترتانية ، منذ زمن بعيد ، وبالتحديد منذ كان يدرس فى (باريس) ، حيث تم تجنيده هناك ، وهذا هو الجانب المجهول من حياة الساحر (تشومبى) ، والذى لم يكن فى قدرته التباهى به وإبرازه ، كما يتباهى بجوانبه الأخرى ..

وكان الدوْر المطلوب من (تشومبى) ، فى هذه العملية ، هو الترويج لأسطورة (اللعنة السوْداء) ، مستغلاً الهالة التى أحاطوه بها ، كساحر ومتنبئ قدير ، وعلى الرغم من أن هذه الخرافة لم تجد قبولاً لدى حكومة (الجابون) ، إلا أنها أحدثت أثرًا كبيرًا فى نفوس الأهالى ورجال القبائل ، وفقًا لمعتقداتهم السائدة ، وتأثرهم بالسحرة والمشعوذين ..

ولما وجد رجال المخابرات الأسترتانية إصرار الحكومة الجابونية ، على إسناد مشروع السدّ إلى الخبراء والفنيين المصريين ، بدءوا يؤكدون خرافة (اللعنة السوْداء) ،

باستخدام بعض الوسائل التكنولوجية الحديثة ، لارتكاب عدد من الجرائم الغامضة ، والأحداث التى تبدو لمن يراها كظواهر خارقة للطبيعة ، مما يدفعهم إلى ربطها بخرافة (اللعنة السوْداء) ، التى حذرهم منها (تشومبى) ، مثل تلك الماسة الزرقاء المتألقة ، التى تتحوّل إلى كرة لهب ، والتى ليست سوى لعبة إليكترونية ، يتم توجيهها عن بعد باستخدام جهاز تحكّم آلى (ريموت كنترول) ، وكذلك الثعبان المجنّح ، الذى استخدم مرة فى فيلم من أفلام الخيال العلمى ، والذى يتمّ التحكم فيه آليًا أيضًا ..

أما بالنسبة للقردة المتوحشة ، فلقد أثاروها بغاز مثير للأعصاب ، بعد جلبها فى حالة تخدير إلى المكان ، حيث بدت وكأنها تهاجمنا بناءً على أمر الزنجى .

قاطعه السفير .. متسائلاً :

ـ ولكن ما تفسير شعورك بالاختناق والإعياء ، حينما ذهبت لمقابلة (تشومبى) فى فيلته ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

ـ لقد اعترف (تشومبى) فى أثناء التحقيقات ، بأنه كان قد أمر بعض عملائه فى الفندق ، بدس سائل معيّن فى الشراب

الذى تناوله هناك ، ليُحدث بى ذلك الأثر ، حينما أكون فى حديقة فيلته ، وكان يهدف إلى إقناعى بأنه صاحب ذلك التأثير ؛ ليرهبنى ، ويقنعنى بقدراته .

سأله السفير :

ــ هل يعنى هذا أن كل ما قيل ، وما تردَّد عن (تشومبى) مجرَّد خرافات ومبالغات ؟

ممدوح :

ــ ليس تمامًا ، فلقد كشف (تشومبى) منذ فترة طويلة موهبته فى التنويم المغناطيسى ، واستطاع أن ينمى هذه الموهبة بالصقل والدراسة ، ثم استغلَّها فى خدمة أهدافه ، وإيهام الآخرين بقدراته كساحر ، بالإضافة إلى الوسائل التكنولوجية ، التى وفَّرتها له مخابرات (أسترتان) .

ابتسم السفير ، قائلًا :

ــ لقد وقع الأسترتانيون فى شرِّ أعمالهم ، فإذاعة تفاصيل هذا المخطَّط ستكون بمثابة فضيحة دولية لهم ، إذ ستكشف أساليبهم الدنيئة فى خداع الشعوب ، وستقضى على ثقة المجتمع الدولى بهم .

ممدوح :

ــ أتعتقد أن تؤدى محاكمة (تشومبى) أيضًا إلى القضاء على هذه الخرافات ، التى تملأ القارَّة الإفريقية فى زمننا هذا .

السفير :

ــ سأتركك الآن ؛ كى تستعد للذهاب إلى المطار ، وأحِبُّ أن أطمئنك بشأن ابنة (هوجو) ، فلقد تم تعيينها فى السفارة المصرية ، وستكون تحت رعايتنا ، بحسب وصايتك .

ممدوح :

ــ أشكرك يا سيادة السفير .

ونهض استعدادًا لمغادرة السَّفارة إلى المطار ، وبينما كان يهبط من درجات السلم ، وجد ابنة (هوجو) تسرع إليه ، وتصافحه قائلة :

ــ مستر (ممدوح) .. هل تسمح لى بأن أقدِّم لك هذه التميمة قبل سفرك ؟.. إنها ستحفظك من الشرور .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يتناولها من يدها ، قائلًا :

ــ سأحتفظ بها كتذكار فحسب ، وينبغى أن تتعلمى من الآن أن التمائم ، وطرق السِّحر ، والخزعبلات لا تقضى على الشر والأشرار .

ضحكت الفتاة ، قائلة :

ـ لقد تعلّمت ذلك بالفعل .. تعلّمت أن القضاء على الشرّ يحتاج إلى رجال لهم شجاعتك وإخلاصك يا مستر (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) ، وربّت على كتفها ، ثم اتجه إلى سيّارة السّفارة التي تنتظره ، لتقلّه إلى المطار ، ولوّح له السّفير والفتاة بأيديهما ، قبل أن يبدأ رحلته إلى (القاهرة) ، بعيدًا عن تلك الأرض ، التي شهدت تحطّم أسطورة (اللعنة السّوْداء) .

* * *

[تمت بحمد الله]

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ـ تليفون : ٨٢٦٢٨٠

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

اللعنة السوداء

وتصبب منه العرق غزيراً ، على الرغم من القشعريرة التى انتابت ذراعه ، وبدا له وكأن قوى خفية تجبره على فتح أصابع يده العاجزة ، لتسقط منها الخزنة إلى الأرض .

المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى



العدد القادم

العميل الهارب